

كلمة العدد:

لماذا الحديث عن التراث ؟

بقلم : محسن الكريفي

ما من أمة إلا ولها تراثها . ترتبط به . تحتاجه . تجعله منارة في مسيرتها وصيرورتها . التراث هو ما كان ويكون وسيكون . "أشياء صلبة" كما يقول الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي تخرج الواقع المهتك الستّر من سذاجته وصورته الأولى إلى البلورة والتأصيل . أضحي الواقع معرّى تتحاذّبه نزعات متعدّدة تروم فكاكه وشرح ذاكرته .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الحديث عن التراث نزول إلى عمق الذاكرة، إلى الأصول المعرفية تأسست عبر التاريخ والفعل في الصعاب ومعانقة التحارب البكر حين كان الإنسان أشبه بالبطل الأسطوري يُحارب الأقدار الموجعة، يشمخ عبر الجراحات الكاوية، كان في فعله منوالا ومسيحا يحمل صليب إنجازاته حين نستند إلى التراث نشعر أننا إزاء سند لا تُرحزحه نزعات العصر العصيب، لا تزلزله نعقات الغربان الجوعانة، لا تُقزّمه الأفاعي التهاشة..

يحتاج المرء أحيانا إلى الهالة المقدسة إلى إيهامات المطلق الصّادي، إلى عنفوان الماضي يندسّ هنالك يشعر أنّه يدثر بعباءة

التاريخ ينصّع ذاته يستحّم من أدران عصر التحاس وفوارس
الإسفلت وعصا أبي موسى الأشعري لبس زيّه المضحك..

إنّ التونسيّين ومهما قسا زمن الدّولار يضلّون في عناقٍ حميميّ
مع التّراث في عمقهم تواصل معه وفي نفرهم تأصّل بمعينٍ لا ينضب
إعلاء التّراث والإعتراف به سنداً ثقافيّاً سارياً لمظهر من مظاهر
المصالحة مع التاريخ، مع الحاضر، مع مقتضيات عصر الإستبلاّب
الماديّ المقيت والإتحاف من منطلق أهدافها التي رسمتها منذ نشأتها
لتسير على درب إحياء التّراث والنّظر في ثنياه وانتقاء ماتراه صالحاً
للدّرس والمعرفة والمراجعة وما إشرافها سنويّاً بإعانة من وزارة الثقافة
والمحافظة على التّراث والمندوبيّة الجهويّة للثقافة بولاية سليانة على
الملتقى الوطنيّ أحمد بن أبي الضياف إلا محاولة بسيطة من أجل تراث
مسؤول وسعي دؤوب من أجل رسمه في المخيال الفرديّ
والجماعيّ-للإتحاف مع التّراث قصّة ولكلّ كائن معه قصّة كبرى
فعلنا أن يكون لنا دور في هذه القصّة الخالدة يسأل الكثير لماذا
الحديث عن التّراث؟ ويكون الإجابة ببساطة ولم لا يطول الحديث
عن التّراث؟

أدب الرحلات

(5)

بقلم : محمد بن الأصفر المحامي

سادسا : التأثير غير المباشر على الانتاج الفكري والإبداعي الأدبي

العربيين

لقد سبق أن لاحظنا ونحن بصدد الحديث عن الكتابات "العلمانية" للكتاب المسيحيين العرب، إنهم لم يكونوا متأثرين بأدب الرحلات في القرن التاسع عشر الذي كتبه عرب من أمثال الطهطاوي أو خير الدين التونسي، وقد اقتفينا أثر الأستاذ محمد عابد الجابري في ربط ذلك الإنتاج الفكري بالأصول الهيلينية ... كما أننا سنعيد نفس الشيء عند الحديث عن طه حسين، المسلم الذي اختار أيضا سنربط بينه وبين فكرة "مصر الفرعونية" مع لطفي السيد وكذلك مع عخط مدرسة الاستشراق الألماني، ورائدها في مصر الأستاذ توفيق العبدل ... ثم مع مدرسة علم الاجتماع الفرنسية ممثلة في أحد روادها، أستاذ طه حسين ونقصد دوركهام Durkheim .

إلا ان هذه المشارب المتعددة والمختلفة لن تتسبب في نظرنا في قطع نوع من السند بين زخم كبير من الانتاج الفكري والابداع العربي من جهة أولى وأدب الرحلات العربي للقرن التاسع عشر الميلادي، وتحديدًا مع الطهطاوي وخير الدين التونسي ولو بشكل غير مباشر.

ويكون ذلك إنطلاقًا من الملاحظة الاساسية للأستاذ هشام جعيط، الذي

قال: "... إذا ما استنبا مركز الأمبراطورية العثمانية الذي كان محلها كثيرا باوروبا فالعالم الاسلامي كان قبل الحركة الاستعمارية متأخرا جدا بالنسبة للغرب لقد شهد فراغا كاملا بين القرن 15 م والقرن 19 ونحن ندفع ثمن هذا الفراغ اليوم"

كقيم الحرية والتقدم ... الخ... إلى النصوص العربية هو فعلا وليد القرن التاسع عشر ميلادي... بعد ذلك الانقطاع الذي أشار إليه الأستاذ هشام جعيط، والمتواصل جزئيا حسب الأستاذ جعيط ونحن لا نرى حملة نابليون على مصر سنة 1798 م إنما هي التي كانت العامل المحدد لانتشار هذه المضامين الجديدة في الآداب العربية لأن تلك الحملة كانت استعمار غاشما بما أنجزته من الدمار الذي طال الجامع الأزهر الشريف، مذكرة إيانا بصنيع الملك الصليبي الاسباني حين احتل تونس (من 1553 م - إلى 1573م) ، فأباح لجنوده وهم (اسبان ومالطيون وفرنسييون) أباح لهم حرمة جامع الزيتونة المعمور، فركضوا داخله بجيادهم وداسوا المصاحف والكتب والمخطوطات النفيسة.

ولذلك نرى أن أدب الرحلات العرب للقرن التاسع عشر الميلادي، ولئن لم يكن مصدر العام مباشر للخطط العلماني العربي، المسيحي والمسلم على حد سواء، فإنه وبشكل غير مباشر كان قد مهد لإيجاد ظرفية ملائمة Un contexte favorable وشروط موضوعية لبروز الأفكار العلمانية وذلك بقطع النظر عن إيجابية بروزها، ومن عديمها ونقطع النظر عن موقفنا منها.

فلولا ما كان وفره أدب الرحلات الجديد، للقرن التاسع عشر الميلادي مع كل من الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق فهل كان بالإمكان أن يكتب

عربي، مسلما كان أم مسيحيا عن حرية المرأة كمطلب إجتماعي عربي، كما كتبت ذلك زينب فواز في الشام، أو ملك حفني ناصف في مصر أو كما جاهرت بذلك بشيرة بن مراد في تونس ؟.

ولولا، ما كتبه الطهطاوي، أو محمود قبادو، أو عبد الرحمان الجبرتي عن العلوم الرياضية وما ترجمه أحمد الرشيدى وغيره من كتب العلوم والطب تحت اشراف وبتأطير من الطهطاوي فهل كان بالإمكان أن يكتب علمانيون من أمثال يعقوب صرورف وفارس نمر وشبلي شميل في موضوع ظاهره علمي، وباطنه فلسفي / ديني متصل بالعقيدة ... وهي نظرية "داروين" المطيحة بالتفسير الديني القرآني والإنجيلي على حد سواء لمسألة خلق الانسان ؟

ولولا، ما كتبه الطهطاوي وافق به سليمان الحراري ثم محمد عبده هل كان بالإمكان الحديث عن "البرنطة" على حساب "العمامة" أو "القومية" أو "القطرية" على حساب "الرابطه المليية الدينية" كما طالب بذلك أحمد لطفي السيد أو طه حسين من خلال تبينهما لنظرية "مصر الفرعونية" بينهما "الاسلام يجب ما قبله" ويقوم على أخوة "الجماعة الاسلامية"

سادسا، 1) من العلم: المتدين" إلى العلم "العلماني"

لئن لم يخض الشيخ محمود قبادو أو الشيخ عبد الرحمان الجبرتي أو الشيخ أحمد الرشيدى (الذي صار افنديا بعد الدراسة في فرنسا أكثر منه شيخا) حين تبنا قضية العلوم الصحيحة وخاصة الرياضيات والطب، إذ أنهم قد أعادوا الربط مع الماضي التليد للعلوم الصحيحة في العالم العربي الاسلامي ولكنهم قد أسسوا أيضا لمناخ ولظرفية ملائمة لتوغل العلوم في المجال المحترم. إن الشيخ محمود قبادو، قد وضع مقدمة طويلة لترجمة كتابين في الحرب

وتعبئة الجيوش، وقد استغل الفرصة ليدعو إلى الإهتمام بالعلوم الرياضية، فهي التي راض بها الأوروبيون صعاب الأمور، وهم مشغولون في توزيع كافة أوزاعهم لها وكان قبادو وقبل الذهاب إلى الأستانة وفي طريقه إليها من تونس، قد زار "رومة" (إيطاليا).

وأما الشيخ الجبرتي فقد كان، وحسب اعتراف باحث جبني وهو الأستاذ بيتر جران، قد كان عالم رياضيات، فضلا عن أنه صاحب تأليف في الصيدلة وكان ذلك بشكل عصامي فلا نستبعد أن ذلك قد كان نتيجة الاطلاع على الارث العلمي الاسلامي الكبير كما وكيفاً.

وكان الشيخ حسن العطار، يقرأ كتب العلوم التي لم تكن تدرس في جامع الأزهر مثل التاريخ والطب والرياضيات، ثم يدرّسها تطوعاً منه إلى تلاميذه ويرغبهم في مطالعتها، وكان من بينهم الطهطاوي ولعلّه، ولذلك السيد قد كانت كتاباته حسب بيترجران مبكرة في حملها سمات البحث العلمي.

أما الشيخ أحمد الرشيد، فلقد ترجم إلى العربية مواد من كتب أوروبية خلال فترة كلوت بيلك في مصر وهي في حقل الطب النسائي، وأنه حين تعرض إلى عامل نقل الدم فقد أشار إلى الطبيب المسلم ابن سينا.

وإذا كانت دار العلوم لم تتأسس في مصر قبل سنة 1871م من طرف علي باشا مبارك (1823 م - 1993م) وإذا كان المكتب الصادقي لم يتأسس في تونس، قبل سنة 1875، والمعهد الخلدوني لم يتأسس بتونس قبل سنة 1896م، والمكتب الشاهاني لم يتأسس بتونس قبل سنة 1896 كما بين سبق بيان ذلك فإن كلا من يعقوب صروف، وفارس نمر، خريجي الكلية الأنجيلية بدمشق، لم يتشجعا على التعاطي مع الفكر "العلمي" في البيئة العربية

الاسلامية، إلا بالاستناد والاعتماد على السنة والتقاليد الجديدة التي عرفها العالم العربي الاسلامي مع أدب رحلات القرن التاسع عشر الميلادي وحيث بدأت تقاليد الحرية تنسرب إليه حيث يقول الطهطاوي مثلاً: ".... ضمنت الشريعة (وهو يقصد الدستور الفرنسي) لكل انسان التمتع بحريته الشخصية، حتى لا يمكن القبض على انسان إلا في الصور المذكورة في كتب الاحكام..." و"... وكل فرنساوي له أن ييدي رأيه في مادة السياسات..." الخ..

وكنا عرضنا آراء الشيخ محمود قبادو في الغرض.

فالعلاقة غير المباشرة قد تمثلت في تهيئة الظروف المواتية لنشر الافكار العلمية بأقل حدة من حيث الصدمات التي يمكن أن تنجر للعموم وللخواص أيضاً، من جراء ذلك وإن نظرية مثل نظرية داروين مثلاً، تصدر الخاصة قبل العامة لأنها تتطلب معرفة للموضوع يفترض إليها العموم ولو كانوا من انصاف المثقفين. <http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولو لا براعم : الحرية" التي تحدث عنها أدب رحلات القرن التاسع عشر الميلادي، مع الطهطاوي، خاصة ما كان ليتسنى تجاوز الخطوط الحمراء، حتى بالنسبة للمفكرين المسيحيين من العرب .

أ- العلوم الصحيحة أو نظرية "داروين" بالأحرف العربية في أواسط

القرن 19 م

أنه لا مناص من اعتبار أن هذا النوع من العلوم، قد ولد خارج أرحام "أدب الرحلات" وإنه أقرب إلى أرحام "المبشرين" المسيحيين" ذلك، يعقوب صروف (1852م - 1927م) وفارس ثمر (1856م-1951) مؤسسي أول

مجلة عملية عربية في الشام سنة 1876م وهي مجلة "المقتطف" قد صرحا بأنهما قد استشارا في أمر التأسيس، ثم في خصوص الاشكاليات الفلسفية العلمية حول الداروينية استشارا الدكتور كورنيليوس فإن دايك الذي ليس هو سوى، ذلك الراهب المبشر البروتستاني الذي كنا رأيناه يقول ما معناه أنه كلما ذهب إلى قرية من قرى الشام) لتدشين مدرسة بروتستانية الا وقام في نفس الوقت بتدشين مدرسة فرنسية (كاتوليكية) لأنه كان متأكدا أن القساوسة الفرنسيين مقتفون أثره وهو أيضا الذي نشر "الرائد التونسي" محاضرتين له في تبيين العلوم التجريبية.

وكانت مجلة "المقتطف" قد حددت أهدافها من خلال الكتابة في محوري.

1- بناء لصرح العلم الحديث والثقافة العصرية وتمكينها في نفوس القراء

2- هدم الخرافة والسحر والشعوذة

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

ولست أدري، إن كان من حسن حظ المجلة، وصاحبها أو من سوء الحظ، أن خاض الغرب في تلك الاثناء نفسها في مناقشة نظرية داروين حول التطور الانساني من زاوية مخالفة لوجهة نظر الأديان المتسمة بإيلاء الانسان المكانة السامية.

كما ركزت المجلة على أن أهمية العلوم التطبيقية متمثلة في التكنولوجيا. وإن سعينا لبيان هذا الخط النهضوي " الموازي للخط المولود من أرحام أدب الرحلات، لا يقلل من أهمية هذا الأخير في شيء، لأنه هو الذي ساهم في إعداد الأرضية العامة التي جعلت الناس يتقبلون ولو تدريجيا وعلى مهل، وبدون صدمات تذكر الافكار الجديدة التي ترجمت إلى سلوكات حياتية

جديدة فماذا لو كوشف الناس بفكرة الدروينية عن أصل الانسان، المنحدر من أصل القرد قبل أن يكونوا قد طالعوا تخليص الابريز للطهطاوي الذي قال لهم من جملة ما قاله أن عفة المرأة تحصل بتربيتها على قيم معينة كما سبق ذكره.

سادسا، (2) تاء التانيث، أو قضايا حرية المرأة العربية بقلم المرأة العربية والمسلمة أيضا ؟

بعد ان تولى الرجال أي الذكور تبني قضية المرأة، وخاصة كل من الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق، وأحمد بن أبي الضياف ومحمد السنوسي كما سبق أن عرضناه في موضع متقدم من هذا قد اكتسحت المرأة هذه الساحة في الشام، وفي مصر وفي تونس (وفي تركيا).

أ- زينب فواز في الشام
 زينب فواز (1844م - 1914م) هي رائدة الشعر والسرد في الشام وإنطلاقا من جيل عامل لبناني وعلى خلاف ما قد تتصوره، فإنها ليست لبنانية مسيحية، وإنما هي لبنانية مسلمة، وهي شقيقة المحامي محمد فواز، ولم نبرز الجزئية الأخيرة، لو لم نكن نعتقد أن الأجواء الثقافية اللبنانية والشامية وعموما كانت لا ترشح العربيات اللبنانيات مسلمات لمثل هذه المهمة، فهي جزئية فهم علم الاجتماع الثقافي، أكثر مما هي يمكن أن فهم التاريخ الثقافي لأن هذا التاريخ إنما هو واحد لأنه تاريخ الثقافة العربية ككل، وهي لا تقبل أي شكل من أشكال التجزئة سواء على الأساس الجنسي أو غير الجنس بينما يكون هذا النوع من الفروق جدّ مهما في نظر علم الاجتماع الثقافي .
 والملاحظ أن شعر زينب فواز هو شعر مناسبات عموما

والذي يهم بحثنا هذا في هذا المقام أكثر، هو منادائها بحرية بالاصلاح الاجتماعي ودعوتها إلى تحرير المرأة وذلك بعد انتقالها بالسكنى إلى مصر خصوصا وقد اتضح من كتابها، "الرسائل الزينية" أنها كانت تراسل رثدات الحركات النسائية في أوروبا مثلما كانت ترد على الكتاب بمقالات في حرية المرأة وتنشر المقالات الصحفية المضادة لأفكارهم كما نشرت زينب فواز كتابا آخر، اسمه "الدرّ المنثور في طبقات ربات الخلدور"

وقد نقلت في مطلع بعض مقالات لمعاصرتها من الأدبيات اللواتي دعون إلى تحرير المرأة مثل سارة نوفل وهناكوراني (1870م-1898م) ومريم خالده. أما في ميدان السرد، فإن زينب فواز قد مارسته منذ سنة 1892 حين صدرت لها قصتان وهما الهوى والوفاء و"حسن العواقب" أو العادة الزاهرة لتتوج أعمالها السردية، براويز سنة 1905 بعنوان "الملك قوروش" وقد فتحت فواز باب الشعر لغيرها من النساء مثيلات فاطمة الخليل الأسعد وزينب الأسعد (توفيت سنة 1919) كما فتحت باب السرد لمثيلاتها من النساء لبيبة صوايا وفريدة عطية ومي زيادة.

ولم يكن ليتسنى لهذه النسوة، وفيهن مسلمات عديدات أن يتعلمن، ثم أن ينظمن الشعر، أو يكتبن النصوص السردية ليقمن بنشرها وبقراءتها في النوادي أو الصالونات مثل صالونها هي أي صالون زينب فواز، كان يحضر أعماله الاجيال من الرجال مثل، حسن عبد المجيد الدوماني، وأبو السعود مراد، وصالح طه، وغيرهم... لم يكن ذلك ليتسنى لهن كعربيات وخاصة المسلمينات منهن لولا ذلك الحراك الفكري الذي سربه إلى المجتمعات العربية، أدب رحلات القرن التاسع عشر الميلادي، بما حمله من مضامين

تتصل بالحرية والتقدم أو بقيم أخرى كانت منتشرة في الغرب الأوروبي

ب- ملك حفني ناصف

لقد لعبت ملك حفني ناصف (14886م - 1918م) المعروفة بإمضائها المستعار "باحثة البادية: في مصر نفس الدور الريادي التي لعبته زينب فواز في الشام.

إلا أن ملك قد إمتازت أكثر من زينب بالمقال الصحفي الذي بثت فيها أهم أفكارها الاجتماعية كمتقفة عربية وهي كذلك مسلمة فهي ابنة القاضي حفني ناصف، سابق الذكر، وهي أول معلمة مدرسة مصرية وذلك إلى جانب نشاطها الأهلي "الجمعياتي" فهي مؤسسة إتحاد النساء الهديي بمصر سنة 1911، الذي عقد أول مؤتمر له، ولنساء مصر في نفس السنة 1911، بليبوليس، طالبت فيه ملك ناصف، وأنها قد طالبت الحكومة بـ "أن يتخذوا أولو الأمر جميع الوسائل الفعالة لمنع الخيف الواقع على النساء المصريات" كما دعت إلى "تقليل تعدد الزوجات لغير داع بقدر الاستطاعة"

وهذه الجرأة لم تكن متاحة لولا إشاعة فكرة الحرية والتقدم اللتين عمتا بفعل أدب الرحلات العربي للقرن التاسع عشر الميلادي، مثلما رأينا ذلك مع الطهطاوي .

سادسا، (3) مواضيع جديدة للنقاش على نطاق واسع :

لقد عاشت مصر، خاصة في الفترة خلال الحربين العالميتين أنواعا جديدة من النقاش على نطاق وطني وقد شارك فيه طه حسين (1889-1973) ومعاصروه من الكتاب والمفكرين وهي مواضيع مختلفة، وقد دارت حول

الشرق والغرب، والقبعة والطربوش والقومية المصرية والقومية العربية وفكرة الأمة في نظر الدين وفي نظر القومية، والفصحى والعامية وطرق التعليم، ووسائل الحكم، ودور الأزهر، ومهمة الجامعة المصرية وأثر التربية الدينية ومهمة التعلم الزمني أو المدني وغير ذلك .

وهذه المواضيع كلها لم تكن لتخطر على بال، قبل أن يقوم أدباء الرحلات بداية من الطهطاوي بالشروع في التأسيس لها ولإقرار مكانة اجتماعية لقيم الحرية والتقدم.

إذ كان أدب الرحلات العربي للقرن التاسع عشر الميلادي قد أثر ولو بشكل غير مباشر في الحياة الفكرية العربية بما سمح بقيام نقاشات في ميادين العلوم وصلت إلى حد الحديث عن نظرية "داروين" إلى حد الحديث عن حرية المرأة إلخ ... فهل كان هناك مثل هذه الاصداء في الإنتاج الأدبي العربي كإبداع ؟

http://Archive.net/Sakir.it/

سابعا : من الطهطاوي إلى طه حسين !!!

سابعا، 1) حال الفكر العربي في القرن العشرين

هناك عبارة أطلقها الأستاذ أنور لوقا، وهي تنص على قوله "الطهطاوي وطه حسين" يكتبان الأيام، وهو يقصد أنهما يكتبان نص كتاب "الأيام" لطه حسين معا فهل أن هذه العبارة هي مجرد نفخ من نفحات الأدباء وارتسام بندرجان في خانة من خانات "عفو الخاطر" أم أنها مادة لموضوع أدبي وحضاري حقيقي بحيث يستحق الدرس والبحث.

وهل أن هذه العبارة أو الفكر ترمي إلى تقديم الدليل على قيام السند المتصل أو المباشر وغير المنقطع بين تخلص الابريز " من جهة أولى؟، ونص طه حسين "الأيام" من جهة ثانية.

فإذا استقامت تلك العلاقة وقام ذلك السند بين النصين رغم التباعد الزمني بينهما وهو يقاس بقرن من الزمان فهل أن هذا يعني أن أدب الرحلات العربي للنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي هو "الأب الأعلى الشرعي والحقيقي لكل نص في الأدب العربي جاء قائما على مرجعية "التجديد" بكل أبعاده وذلك رغم عدم التطابق التام بين نص الطهطاوي وطه حسين من حيث سيادة الروح النقدية ذات البعد المنهجي عند طه حسين ويبرر الأستاذ أنور لوقا ما اعتبره مشتركا بين الطهطاوي المتوفي سنة 1873 ميلادية، وطه حسين المتوفي 1973، أي بعد قرن كامل، بأيامه ولياليه ينتميان إلى عصر النهضة فالمرر أو المقياس أو السبب يكون على درجة عالية من الطابع العام والفضفاض ولا يكفي لكي يجعلنا تجمع بين الرجلين ... فهل ان فكريهما هو الذي يجمع بينهما ... يؤكد الأستاذ لوقا أن كتاب "تخليص الأبريز" بما هو مذكرات الطهطاوي المتصلة بحياته في باريس، فإنه هو أيضا كتاب "أيام" مشابه لكتاب "الأيام" لطه حسين، وقد أعطى الأستاذ لوقا ميسما أدبيا لهذا الكتاب قائلا: "... حيث يروي الأزهرى الباريسي تجربة أشبه بقصة أهل الكهف منذ خرج من عالمه المصري المنعزل ، الساكن سكون البديهيات إلى العالم الغربي المختلف عما إعتاده ودرج عليه"

وهذا لا يكفي في نظرنا أن يلحق نص "الأيام" لطه حسين بأدب الرحلات ولو كان عبارة عن مذكرات شخصية فليس كل نص "مذكرات أو "يوميات" بأدب رحلات ولو كان مائلا لأدب الرحلات أو كان مائلا لأدب "السيرة الذاتية" وذلك رغم أن عدة نصوص في أدب الرحلات قد انقلبت إلى أدب مذكرات وذلك خاصة عندما يركز الكاتب على ذاته أكثر

من مما يركز على المواضيع معلوم ... لكن طه حسن حين تحدث عن التعليم الذي تلقاه في مصر، وعن الاساتذة الذين أثروا فيه قد قال حرفيا : "إننا في الجامعة (المصرية) لم ننتفع في دروس الأدب العربي إلا بمحاضرات نيلنو والمرحوم حفيي ناصف المصري، وكذلك انتفعنا جدا بمحاضرات سانتيلانا" فالأول والثالث مستشرقان ايطاليان، وقد كان الثاني، فحفي ناصف ، المصر الوحيد من بين ثلاثة أساتذة انتفع طه حسين بدروسهم في الجامعة المصرية والمعلوم أنه أزهرى وكلاسيكي المنهج..

إلا أن التحديد الصادر عن طه حسين ملفت للأنظار لأنه يسقط من القائمة أهم أسم لأهم أستاذ من أساتذته في مصر، وهو لطفي السيد الذي يتفق الباحثون المهتمون بفكر طه حسين على أنه هو الذي زرع فيه فكرة "مصر الفرعونية" التي ارتقت لديهما إلى مرتبة المرجعية الفكرية العليا؟ ولم يكتف طه حسين بوصف علاقته بأحمد لطفي السيد (1872م 1923) بكونها علاقة تلميذ بأستاذ فحسب، وهو علاوة عن ذلك الصديق والأب والجدير بالملاحظة أن أستاذه أحمد لطفي السيد لم تكن بالمعنى المألوف للكلمة، وإنما هي علاقة "المعلم" الحر في ميدان الصحافة حيث يدرّب الصحفي "المعلم شباب الصحفيين أن الصحافة حيث يدر الصحفي المعلم شباب الصحفيين على الكتابة الصحفية.

فلقد تجاوب أحمد لطفي السيد مع طه حسين في موقفه من زواج النبي محمد صل الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد فكانت بداية علاقة تنوعت مظاهرها الفكرية والثقافية إلى أن آلت في ثمايتها إلى اعتناق كليهما لنظرية "مصر الفرعونية.. ولم يختلفا في البداية، إلا في مسألة جواز الكتابة الصحفية باللهجة العامية التي مارسها لطفي وعارضه في

ذلك طه حسين كما اختلفا لاحقا في مرحلة مهمة من تاريخ مصر.

وذلك حين دعى أحمد لطفي السيد بمعية سعد زغلول إلى قبول الحماية البريطانية وقد طلب السيد من طه حسين وحسين هيكل الكتابة في الصحف بما يهيئ الرأي العام لقبول فكر الحماية، وقد أورد طه حسين رد هيكل على السيد الذي قال هذا أمر لا تقبله إلا المومسات ... وإذ قد أورد طه حسين رد هيكل بما يعني موافقته له، وإن كان لم يشنع بهذه الفعلة والظاهر أن طه حسن لم يتحدث عن الشخصيات الفكرية والثقافية والأدبية الأخرى من بين الذين أثروا فيه في مناسبة واحد ووحيدة فهو وفي مناسبة أخرى قد تحدث عن غير أحمد لطفي السيد وحفي ناصف من العرب، ممن أثروا فيه فلقد صرّح إلى الأستاذ أنور الجندي ذاكرا له أسماء أخرى، موضحا مستوى التأثيرات التي مارسوها عليه فإذا كان لطفي السيد، سابق الذكر، قد فتح له باب التفكير الأوروبي الحديث (المعاصر) مينا له قيمة الأشياء ولعلها تلك الأشياء التي فكر فيها الأوروبيون فإن مينا مرصفي قد فتح له بابا آخر وهو باب انشاء الذوق الكلاسيكي وبالفعل فإن طه حسين قد اكتفى على مدرّسه لمادة الأدب في الأزهر الشيخ السيد مرصفي باعتباره قد أحسن له لما أشار عليه بحفظ شعر ديوان الحماسة كما قال أنه يدين له بالفضل في دراسة الأدب العربي القديم ... وهذا لا يعني قيام سبب من أسباب إقامة علاقة تشابه بين أدب طه حسين وأدب الطهطاوي وذلك باعتبار أن كتاب الابريز، إنما هو صنف من صنوف الأدب في نهاية كل تحليل، وذلك باعتبار انه "أدب رحلات" خاصة وأن الشيخ المرصفي لو كان هو نفسه، الشيخ حسين المرصفي، فإن السيد هذا الأستاذ أو هذا الشيخ من أمثال الشيخ حمزة فتح الله ممن درسوا الأدب العربي حسب

المنهج التقليدي كما يقول ذلك الاستاذ حمدي السكوت.

هذا وبإمكاننا أن نعدد مصادر التأثير على مله حسين فنضيف دروس الاستاذ توفيق العدل، وكتابه "تاريخ آداب اللغة العربية" وهي دروس وكتاب قد جعلهما صاحبهما وفيه لمناهج البحث التي عرفت بها مدرسة الاستشراق الألمانية، حيث أن الأستاذ العدل كان درس، ثم درّس (شدة على خرف الرائ) ببرلين، وقد أقر المستشرق الألماني أدوارد براون منهج توفيق العدل وأثنى عليه.

كما بإمكاننا أيضاً، الوصول إلى العديد من المؤثرات التي تلقاها طه حسين مثل منهج علم الاجتماع الذي أخذته عن أستاذه، في علم الاجتماع وهو الشهير، دوركهايم سابق الذكر فهو المشرف على إعداد رسالة الدكتوراه "الفلسفة الاجتماعية" عند ابن خلدون" ومثل "النظرية العلمية العلمية الميكانيكية" للقرن الثامن عشر الميلادي أو "المدرسة الطبيعية، في النقد والدراسة الأدبية كما أقر بذلك الأستاذ محمود أمين العمر، وبهذا، نعود إلى "نظريتنا" حول التأثير غير المباشر لأدب الرحلات العربي للقرن التاسع عشر الميلادي والتي قلنا بموجبها، إن هذا الأدب لئن لم يؤثر تأثيراً مباشراً، على الفكر والأدب العربيين اللاحقين عنه، فإنه قد كان صاحب الفصل في إرساء دعائم الظرفية الملائمة لتقدمها النوعي والملاحظ بما وفره لهما من إمكانية التطرق إلى الحديث عن قيم الحرية والوطنية والتقدم بفصل العلم والمعرفة...

من الأدلة على قوة هذا التأثير غير المباشر بالنسبة لفتور، أو محدودية التأثير المباشر إن مائة رواية عربية في مصر لم تكن عاكسة قليل للتأثير المباشر لأدب الرحلات عليها... يتبع..

العقل في الإسلام

قرون التأسيس بين نور القرآن وظلمة الاستبداد

(2)

بقلم : د. الضاوي خوالدية

*تعامل العاقل مع الدين:

يرى ابن المقفع أن ليس الإنسان بحاجة إلى هداية سوى العقل بقوله: غاية الناس وحاجتهم صلاح المعاش والمعاد والسييل إلى دركها العقل الصحيح (16) واعتماده العقل بهذا الأسلوب "العقلاني" قد يكون نتيجة لعاملين تركا أثرهما فيه وهما الصراعات الدموية ذات الشعارات الدينية التي تخللت القرن الأول وبداية الثاني وثقافته المتينة ذات الأبعاد الحضارية الفارسية، فهذان العاملان جعلاه لا يعتنق ديناً معيناً بل يؤمن بالمبادئ العامة أو الأصول التي حوتها كل الأديان حيث يقول: "فلما خفت التردد والتحول رأيت أن أقصر على كل شيء تشهد العقول أنه برّ وتطفق عليه كل الأديان (17)، وأكد الفكرة في موضع آخر: أصل الأمر في الدين أن تعتقد الإيمان على الصواب وتجتنب الكبائر وتؤدي الفريضة (18)، ثم نزه الدين عن الصراعات الفكرية قائلاً: "إن الدين يسلم بالإيمان والرأي يثبت بالخصومة فمن جعل الدين خصومة فقد جعل الدين رأياً ومن جعل الرأي ديناً فقد صار شارعاً ومن كان هو يشرع لنفسه الدين فلا دين له (19)

• الحكم بمقتضى العقل:

إن ابن المقفع السياسي المحتك المنظر يرى أن الحكم لا يخرج عن ثلاثة أنواع: حكم دين يقوم به الأمر (في ظروف تاريخية معينة) وحكم حزم يقوم به الأمر ولا يسلم من الطعن وحكم هوى لعب ساعة ودمار دهر (20)، وإن كان لا يؤمن بقيام حكم ديني (ناجح) رغم ما ترفعه بعض الفرق (شيعية، خوارج...) من شعارات ولا يستسيغ حكم الهوى الذي يتعارض مع العقل ومع أهل الحكمة فإنه يفضل حكم الحزم الذي مرتكزاه العقل والمسؤولية، لكن مادام الحكم في عصره يعتمد الهوى فإن التنظير لتحويله إلى حكم يعتمد العقل والمسؤولية أو بعبارة أخرى يعتمد نوعاً من المؤسسات في التسيير يجب - كي يكون مقنعاً - أن يمر بمرحلتين منطقيتين التحليل: افتراض وجود حاكم مثالي فأبطال الافتراض:

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

أ/ المرحلة الأولى: صفات الحاكم المثالي كما يرضيها الحكماء: لقد بدأ بتخويف صاحب السلطة من السلطة بقوله: "ولاية الناس بلاء عظيم" (21) ثم حدد للحاكم صفات تستوجب عقلاً ومعاناة منها: أن يجتهد في تخيير المساعدين (العمال-الوزراء) ويتعهدهم، وأن يكون قدوة لهم في ممارسة الحكم وأن يكون عالماً بأمور الرعية وأن يقرب العلماء وأهل الدين وأن يستشير أهل الفضل إذ المشير يزداد بالشورة رأياً وعقلاً وأن يلتمس رضا الأخيار وأن يياشر جسيم الأمور وأن يعدل وأن لا يحب المدح والتزكية، خاتماً بقوله: الحاكم العاقل عامل في سخرة لمن فوقه (الله-مالك) إن فرط أهلكاه.

ب/المرحلة الثانية: استحالة وجود هذا الحاكم المثالي: إن كان نظر في كتابه الأدب الصغير والأدب الكبير لحاكم مثالي فإنه أفرد في الأدب الكبير (صحبة السلطان) صفحات طويلا صور فيها استحالة وجود هذا الحاكم بتحذير أصحابه/حاشيته (الذين كان يدعو السلطان إلى الاعتماد عليهم) من العمل معه قائلا في بدا هذا الباب: "إن شغلت بضحبة الملوك فعليك بطول المراقبة في غير معاتبة ولا يحدثن لك الاستئناس غفلة ولا تماونا"، وخاتما بـ "وإلا فالبعد عنهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر" (22). أمّا مدعمات حكمه على استحالة وجود حاكم عاقل في الواقع فهو "أن الأخلاق مستحيلة (متحولة) مع الملك (23)، وأن الوالي لا علم له بالناس (24) وأن أقرب الناس إلى الوالي الأشرار والخونة والقدرة (25) وأن الوالي نساء مقطوع الأرحام مصروم الحبال (26) وأن وزير السلطان عدو مجاهر حاضر جريء واش.

لقد افترض ابن المقفع كما أشير آنفا وجود حاكم عاقل عادل ثم أبطل الافتراض إذ السلطة مخدرة/سكر ولن تكون غير ذلك دون العمل "بميثاق دستوري" مؤسسي عقلائي حوته رسالته في الصحابة الموجهة إلى الخليفة المنصور من بنود هذا الميثاق الذي ملخصه إجمالا تحديده أصول نظام الحكم وتصويره الواقع الاجتماعي والسياسي وتبيينه كيف تكون علاقة الخليفة بالقوى الفاعلة في الحياة السياسية وكيف يوحد القضاء ويتعامل مع المعارضة ويركز الاقتصاد...

ولعل الأطراف في ما كتب في نقد لواقعه وتنظير يؤسس لصياغة فرد وجماعة وسلطة يؤهمهم العقل ما تناقله الرواة عنه من أن العرب

(قبل الإسلام) كانوا أعقل الأمم إذ "ليس لهم أوّل يومهم ولا كتاب يدلّهم، أهل بلد قفر، ووحشة من الإنس، احتاج كلّ واحد منهم في وحدته إلى فكره ونظره وعقله، وعلموا أن معاشهم من نبات الأرض فوسموا كلّ شيء باسمته ونسبوه إلى جنسه وعرفوا مصلحة ذلك في رطبه ويابسه وأوقاته وأزمته وما يصلح منه في الشاة والبعر، ثم نظروا إلى الزمان واختلافه فجعلوه ربيعاً وصيفاً وقيظاً وشتواً، ثم علموا أن شربهم من السماء فوضعوا لذلك الأنواء، وعرفوا تغيّر الزمان فجعلوا له منازل من السنة واحتاجوا إلى الانتشار في الأرض فجعلوا نجوم السماء أدلة على أطراف الأرض وأقطارها فسلّكوا بها البلاد وجعلوا بينهم شيئاً ينتهون به عن المنكر ويرغبهم في الجميل ويتجنبون به على الدناءة ويحضهم على المكارم، حتى إن الرجل منهم وهو في فجّ من الأرض يصف المكارم فما يبقّي من نعتها شيئاً ويسرف في ذمّ المساوئ فلا يقصّر، ليس لهم كلام إلا وهم يحاضّون به على اصطناع المعروف ثم حفظ الجار وبذل المال وابتناء المحامد، كلّ واحد منهم يصيب ذلك بعقله ويستخرجه بفطنته وفكرته فلا يتعلمون ولا يتأدّبون بل نحائز مودبة وعقول عارفة إنهم أعقل الأمم لصحة الفطرة واعتدال البنية وصواب الفكر وذكاء الفهم" (27)، من كان أعقل من غيره قبل القرآن يكنّ الأعقل في ظل القرآن!

العقل لدى الجاحظ:

إن كانت طرافة المعتزلة تكمن في المنهج العقلي وحرية الاختيار وربط الفكر بالعمل فإن الجاحظ قد تميّز عنهم بمواضيع علمية "بجّة" لا

دافع لها إلا إشباع العقل بالمعرفة ومنهج بحث قد تجاوز فيه فرقته وواقعية وإيمان بقدرة الإنسان في أي زمان على المساهمة في بناء صرح الحضارة... وما دام الموضوع دور العقل في المعرفة فإن أبا عثمان قد حدد منهاجاً يعصم من الخطأ يركز على: المعرفة الحسية والمعرفة التحريية والمعرفة المنطقية: تعريف، تحليل، شك...:

1- المعرفة الحسية: إن الجاحظ يعلق كبير أهمية على معطيات الحواس في اكتساب المعرفة والعلم فهو مثلاً في "الحيوان" يدعو إلى الارتقاء من معرفة الحواس على معرفة العقول (28) قائلاً: وهذا كتاب قد أخذ من طرف الفلاسفة وأشرك بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة (29)، وقد دفعته هذه الرغبة الحسية إلى الإقبال على الواقع بحواسه متلمساً إياه بدقة ليستوعبه بدقائقه وتفاصيله واقفاً على عناصره الملموسة أو المرئية أو المستموعة كافة، فإذا ما تناول موضوعاً وضع نفسه مكانه ليصوره معاً إياه حاساً به بحواسه، فانظر إليه في قصة القاضي وإلحاح الذباب (30) كيف يعاني ويحس داخلياً، وقد تبرز شدة الملاحظة (العين) كما أكد هو: لا تشفيني إلا الملاحظة في وصفه معالجة النملة لمذخراتها من الحبوب إذ يقول: "إنها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء في الصيف أن تعفن وتسوس ويقلها بطن الأرض فتخرجها إلى ظهرها لتيسها وتعيد إليها جفوفها وليضرها النسيم وينفي عنها اللخن والفساد،... وإن خافت أن تنبت نقرت موضع القطمير من وسط الحبة، وتعلم أنها من ذلك الموضع تبتدئ وتنبت وتنقلب فهي تفلق الحب كله أنصافاً فأما إذا كان الحب من حب"

الكزبرة فلقته أرباعاً لأن أنصاف حبّ الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب" (31). ولا يكتفي الجاحظ في المعرفة بالنظر بل يستعمل حواس أخرى كالذوق والشمّ والسمع فقد ذاق الشبوط ليتسنى له الكلام عن طعمه (32) وشمّ الكلب ليصف تنه الشديد (33)، وكان يعلم ما بين السماع والمعرفة من صلة وثيقة إذ قال: فالإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه (34) لذلك يلجّ على مطالعة الكتب قائلًا: "لو لجأنا إلى قدر قوتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا لما تدركه حواسنا وتشاهده نفوسنا لقلت المعرفة" (35)...

2- المعرفة التجريبية: إن كانت المعرفة الحسية قد يعثر بها الخطأ فإنّ الجاحظ كان يعتمد التجربة التي أرادها أداة من أدوات المعرفة الحقّة حيث يقول: وهذا كتاب قد أخذ من طرف الفلسفة وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة (36)، والتجربة كما هو معلوم توفر للباحث معطيات حسية جديدة إذ ما يقع مباشرة تحت الحواس محدود لأن النظر مثلاً لا يخترق الحواجز ولا ينفذ إلى باطن الحيوان أو الشيء، يقول في حديثه عن بيض الحيات: "وقد رأيت بيض الحيات وكسرها لأتعرّف ما فيها فإذا هو بيض مستطيل أكدر اللون اخضر وفي بعضه غمش ولمع فأما داخله فلم أر قبحاً قطّ ولا صديداً خرج من جرح فاسد إلا والذي في بيضها أسمع منه وأقدر" (37)...

3- المعرفة المنطقية: لم يكتف الجاحظ بالملاحظة والتجربة (المعتبرتين بداية كل معرفة وهمايتها في خصوص الواقع) فقط بل أدخل العنصر الذهني المستمد من قوانين العقل المحض الموالي للإدراك الحسي وهو

القائل: فلا تذهب إلى ما ترك العين واذهب إلى ما يريك العقل
وللأمور حكمان: حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقول والعقل
هو الحجة (38)، فكان اعتناؤه بـ :

التعريف:

- التعريف بالتقسيم : هو الانتقال من العام إلى الخاص وهكذا يقسم
الجاحظ العالم إلى جماد ونام، والنامي إلى حيوان ونبات، والحيوان إلى
شيء بمشي و شيء يطير و شيء يسبح ثم يقسم ما يمشي على ناس وبهائم
وسباع وحشرات (39)... ثم يقسم العالم تقسيما آخر فيقول :
ووجدنا العالم بما فيه حكمة ووجدنا الحكمة على ضربين: شيء جعل
حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة و شيء جعل حكمة وهو
يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة (40)

- التعريف بالحداد: تحديد الشيء بصفته الذاتية، يقول في الإنسان: إنه
حيوان فصيح (41).

- التعريف بالتصنيف: الانتقال من الخاص إلى العام، يلاحظ الجاحظ
في هذا الشأن أفراد الطير ويجمعها حسب الصفات المشتركة بينها ثم
يفرقها حسب الصفات المختلفة متفقدا أنواع الطير ملاحظا أن منها ما
يأكل اللحم خالصا ومنها ما يأكل الحب خالصا ومنها ما يأكل الحب
واللحم، وتدفعه هذه الملاحظة إلى تصنيف الطير في ثلاثة أنواع فيقول:
والطير كل سبع وبهيمة وهمج (42).

التعليل:

يلجأ العقل إلى التعليل ومبدأ العلية في صورة التفكير المفضية إلى المعرفة إذ أنها (المعرفة) تقوم أولاً على إدراك أسباب الأمور، يقول في وصف كلب الصيد واكتشافه لبحر الأرنب بعد أن تراكم عليه الثلج: وذلك أن أنفاسها وبخار أجوافها وأبدانها وما يخرج من الحرارة المستكنة في عمق الأرض مما يذيب ما لاقاها من فم الجحر من الثلج الجامد حتى يرق ويكاد يثقبه (43)، ويقول في شأن الكلب: لا مجال لتكليف الكلب معرفة عواقب الأمور إذ أنَّ علّة هذه المعرفة وهي آلة التمييز غير متوفرة عنده كما علل قلّةبيض الدجاج إذا كثر عدددهن وقلّة إنتاج النخلة إذا تراحم النخيل.

الشكّ والتهكم:

الشكّ: إن شغف الجاحظ بالمعرفة اليقينية جعله لا يكتفي باكتسابها عن طريق الحواس والتجربة والتصور الذهني بل أخضع هذا التصوّر أو الإدراك العقلي إلى التحقيق حتى لا يقبل على أنه حقّ ما لم يعرف يقيناً أنه كذلك، يقول: "أعرف مواضع الشكّ وحالاتها الموجبة له لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له... فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف ثم التثبت لكان ذلك مما يحتاج إليه... وقال أبو الجهم للمكي: أنا لا أكاد أشكّ، قال المكي: وأنا لا أكاد أوقن ففخّر عليه الملكيّ بالشكّ... وقال أبو إسحاق: الشاكّ أقرب من الجاحد ولم يكن يقين قطّ حتى كان قبله شكّ (44).

شبه خاتمة:

كان العقل العربي يملك قدرات واستعدادات توهله لا لتقبّل رسالة

الإسلام فقط بل للتفاعل معها بعمق والإبداع في إطارها لأنها واءمت فطرته ووسعت مداركه وقوّمت ثقافته وأثرت لغته وأكثرت شأن القسط الأكبر من قيمه قال تعالى: "وكذلك أنزلناه حكما عربيا" (الرعد آية 37) وفتحت في وجهه عوالم جديدة مكانية وفكرية وإبداعية ما كانت لتخطر له على بال، وجعلت لحياته معنى ولوجوده رسالة لكنها (هذه الثورة العقلية التي أحدثها الإسلام) سرعان ما خفّ أوراهها بفعل الصراع على السلطة والاستبداد والإيديولوجيات المذهبية والقبلية: ثالث معاد للعقل بل مستبعد له يستخدمه لأغراضه أي حصر الحقيقة في حيزه ونظامه ومذهبه... وحصر الباطل في غيره مما أدى إلى تكسّر العقل العربي وتشوّهه بدءا من القرن الرابع، مع استثناءات، إلى القرن التاسع عشر التي أيقظته فيها حضارة الغرب ودوي مدافعه فتحرك ببطء وانبهار معم بغية معرفة ما يجري حوله وما يجب فعله للقيام فرأى أو تخيل سريعا أنّ للنهوض بنحدين: تقليد الغرب في كلّ شيء سياسة ومؤسسات وثقافة... أو انتهاز نهج السلف الصالح: الرسول وخلفائه الراشدين وبينما كان يخوض امر النهجين إذ بادره الغرب بالاحتلال فسعى إلى التخلص منه... فتخلّص جزئيا بعد لأي وحكمته أنظمة باعتماد مؤسسات "غربية" بلا روح، بعضها تقول إنها الحداثة وبعضها تقول إنها الأصالة دون وعي من هؤلاء وأولئك أن الأصالة ليست مجرد تجلّز في الماضي والحداثة ليست مجرد "مواكبة" لمكتسبات الحاضر ذي المنشأ الغربي وإنما كلاهما (الحداثة والأصالة) تجلّز في الواقع واستجابة لشواغله وفعل مبدع فيه موسومة ببصمة أمة حاضرها موصول بنسف

ماضيها، إن مأتى هذه الضبابية والعتمة لدى العقل العربي والساسة قدح/ تلقيح العقل الكامن التعب بشرر أو لقاح غريب عن روحه فتشوه وتشوه إنتاجه لأن حضارة الغرب وليدة مسار تاريخي تراكمي ذي مقومات خاصة الاستثناس ببعض عناصرها العامة كالعلوم ومناهجها... ممكن، وحضارة العرب المسلمين أيام تأسيسها على أيدي الرسول ص وخلفائه العاقلين فيها الكثير من الاجتهادات ذات البعد الآتي مواكبة لواقع المجتمع آنذاك بل فيها الناسخ والمنسوخ القرآنيين والسنين لتوائم الأحكام تطور المجتمع في النصف الأول من القرن الأول.

إذن فالتشوه الذهني الذي نعيش ناتج عن مبعث عقولنا في زمان غير زماننا (زمان أوروبي حيث يمتد على 5 قرون لا تعي عقولنا مساره وإنما ترى مظاهره، و زمان عربي إسلامي قرأناه نقلا ولم نره عيانا ولم نعه عقل)، ينبغي إعادة العقل العربي إلى زمانه لأن العقل والعاقل الطبيعيين لا يعيشان خارج الزمان كما أكد القرآن ذلك لينطلق منه فاحصا حافرا مشرعا ماضي الحضاري وتراثه الإسلامي موليا عناية وقدر أكبر من التأني والتركيز للنصوص التأسيسية لأن فهمها وفهم الأسس التنويرية الخالدة فيها كالعناية بالعقل مثلا على ضوء مناهج العصر العلمية قد تفتح آفاقا ما كان الحلم بما يمكننا فيكون نقد التراث وكشف لآلي النصوص الأساس ويكون وضع حجر الأساس للتأسيس لعقل عربي مسلم فاعل في الزمان والمكان أي قادر على حل المشكلات والمعضلات التي طرحت وتطرح عليه.

الموامش:

- 16- الأدب الصغير والأدب الكبير ص 5
- 17- كتيبة ودمنة، ط 1982 ص 41
- 18- الأدب الصغير والأدب الكبير ص 73
- 19- الأدب الصغير والأدب الكبير ص 36
- 20- الأدب الصغير والأدب الكبير ص 83
- 21- الأدب الصغير والأدب الكبير ص 23
- 22- الأدب الصغير والأدب الكبير ص 114
- 23- الأدب الصغير والأدب الكبير ص 92-113
- 24- الأدب الصغير والأدب الكبير ص 93، 97، 98
- 25- المرجع السابق
- 26- المرجع السابق
- 27- أبو حيان التزحيدى: كتاب الإمتاع والمؤانسة ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ص 72-73
- 28- المحافظ: الحيوان ج 2 تحقيق عبد السلام هارون 1938 ص 116
- 29- الحيوان: ج 1 ص 11
- 30- الحيوان: ج 3 ص 343
- 31- الحيوان: ج 4 ص 6
- 32- الحيوان: ج 1 ص 150
- 33- الحيوان: ج 1 ص 226
- 34- الحيوان: ج 1 ص 55
- 35- الحيوان: ج 1 ص 211
- 36- الحيوان: ج 1 ص 11
- 37- الحيوان: ج 4 ص 170
- 38- الحيوان: ج 1 ص 204
- 39- الحيوان: ج 1 ص 26
- 40- الحيوان: ج 1 ص 33
- 41- الحيوان: ج 1 ص 32
- 42- الحيوان: ج 1 ص 28
- 43- الحيوان: ج 2 ص 119
- 44- الحيوان: ج 6 ص 33

اللغة العربية إلى أين؟! ...

بقلم: توفيق العرقوبي

إن لغة العربية الفصحى في نفس كل عربي غيور متزلة عظيمة كمتزلة الرأس من الجسد، ولكن وللأسف الشديد فقد أصبحت محلّ هجوم وجفوة من أبنائها، بل وعقوق من يفترض أن يكونوا منارات علم وثقافة، وأقصد ذلك تلك الفضائيات التي تبثّ من الوطن العربي الكبير التي تفاجئنا و تفجعنا بما تتناوله من الغث، ولا يرافقه سمين في حملة مسمومة مذمومة على أسماعنا وعقولنا وقلوبنا وأذواقنا، عبر استخدام العامة دونما سبب موضوعي ولا غير موضوعي، بل كثيرا ما بات أدعياء الترفيه-وأغلب ما في ترفيههم كل شاذ بمقوت ناهيك عن المتحلّل المفروض-يستخدمون عامة (مائعة) ممحوجة، تستهدف توجيه ضربة جارحة إلى أعماق وجودنا العربي والديني والقومي والإسلامي. فهم وللأسف الشديد يروجون للرديلة ويحرصون على شباع الفاحشة، ولا يقتصر الهجوم الشرس على لغتنا العربية على الفضائيات فقط، بل إنه مع تطوّر التقنية ووسائل الاتصال الحديثة ازداد الطّين بله، فقد لوحظ في الآونة الأخيرة دخول مصطلحات فيما يسمّى لغة المحادثة (التشاتنق) على الشبكة العنكبوتية لا تمتّ للعربية بصلة، ولكنها تنتشر كانتشار النار في الهشيم، والذي يؤسف هو عدم تصدي مجتمعات اللغة العربية لهذه الظاهرة، وعدم تحريك أي ساكن مما يجعل الأمر يستفحل

وينمو، وبعد ذلك سنجدّه يفرض نفسه ويضعنا أمام الأمر الواقع، ويشوه اللغة ويظهرها على غير صورتها الجميلة والبليغة. فقد تعاجت اللغة العربية على ألسنتنا، وأصبح أولادنا كأولاد الرّوم والفرنجة، لا يستقيم لسانهم بلغة أجدادهم، والجميع يدرك فداحة الخطر، لكنهم يتفرّجون! إلّا من رحم ربّي، فوسائل الإعلام، عامية، والتخاطب في حياتنا اليومية، والمحادثة في الشبكة العنكبوتية عامية، تميل إلى التجديد وإدخال مفردات دخيلة، كلها مؤثرات تدعونا للانتباه وفتح ملف لغتنا الجميلة التي صارت عسرا، بعد أن كانت يسرا. اتساءل أنا والكثير ممن تحركهم الغيرة عن دور علمائنا الضلّعين بلغتنا والحريصين عليها، والقادرين على قول كلمة في مسألة مختلف عليها وعن دور الجامع اللغوية في وطننا العربي، أين أنتم؟ وما هو موقفكم من تلك المعركة المحمومة الموجهة لتهديم أسوار اللغة الحصينة؟ وإن كان هناك تقصير فهو بلا شكّ من أبناء اللغة العاقين وليس من اللغة ذاقها.

فاللغة هي ظاهرة اجتماعية ملتصقة بالوجود والتاريخ الوطني منذ أربعة عشرين قرنا من الزمن، وهي تتخلف وتتطور وفقا لتخلف أو تطور الناطقين بها، وكل كلام عن تخلف لغة كالعربية إنّما هو خطأ يجب تصحيحه بأن المقصود والصحيح المؤكد هو "تخلف" العرب، إذ ليست اللغة كيانا مستقلا بذاته، ولا هي غط انتاجي يمكن التخلي عنه أو استبداله مع التأكيد على تطويره، إنّما كأرض الوطن، ولا نختارها ولا نتخلي عنها، نصلحها ونستزعرها ولا نبادل أو نقايض بها غيرها لأنه لا

أحد يملك أو يقدر على اتخاذ قرار بشأنها، تلك واحدة من الحقائق البعض يحسن أو سوء نية.

ولم يكن استمرار هذه اللغة حقبا عديدة بمجرد صدفة حان وقت انتهائها، إنما يرجع هذا التاريخ العريق إلى ما تتصف به العربية من حيوية وعبقرية وقدرة خاصة على التعبير عن الحضارة والعلم، ولسنا واحدين في تجارب الأمم الأخرى أمة قد تمكنت من التقدم والتهضة بفضل استعارة لغة أخرى والتغلب الكامل كما هو حاصل عن اللغة الأم، أي اللغة القومية، إن في تجربة اليابان والصين الحديثة (رغم ما توصف به لغتهما من تعقيد) ما يكفي لنفي كلّ النظريات حول امكانية تقدم أمة بغير لغتها، وهناك مثال آخر عن تجربة أخرى قام بها أعداء العرب من الصهاينة الذين اغتصبوا فلسطين، فالصهاينة يملكون لغة كانت تعتبر ميتة لا يكاد يفقهها إلا الأحمق، وبالرغم من التعدد الأنثوي واللغوي والثقافي للمجتمع الصهيوني في فلسطين، فإن الصهاينة قد قرروا أو أنجزوا إحياء واستعمال اللغة العبرية، ولعلّ الكثيرين لا يعرفون أنّ أول درس وقع عند افتتاح الجامعة العبرية بالقدس على إثر الحرب العالمية الأولى، كان قد ألقى فيها باللغة العبرية وكان المحاضر أنشتاين العالم الفيزيائي اليهودي، وكان موضوع الدرس هو أول شرح وأول إعلان للنظرية العلمية الخطيرة والمعروفة أي "نظرية النسبية". إن صلب القضية إذن هو أن المتخلف حقاً هو الفكر السياسي العربي السائد وليس اللغة فلا يمكن لأمة ذاتها وجودها وتتلّس رسالتها وتبدع مستقبلها، وتحفظ فيها ومن خلالها تراثها وذاكرتها الجماعية

والقومية. لقد دام استعمار اليابان لكوريا ستين سنة منع خلالها تداول اللغة الكورية، واستقلّت وكان أوّل مرسوم في أوّل عدد من جريدتها، منع التحدّث باليابانية وتمّ شطب لغة الاستعمار الياباني من الحياة والمجتمع والدولة الكورية، ولقد تمّ جمع الشيوخ من الريف في الصيف لتعليم المدرسين لغتهم، وما إن بدأت السنة الدراسية إلّا والكلّ يتكلّم ويكتب باللغة الكورية. وكانت للفياتنام تجربة أخرى انجزتها باستلها من انتصارها على أقوى وألدّ الأعداء، ولقد حسم هوشي منه القضية اللغوية بعد انتصاره مباشرة ودون أن يسمح بنقاش بيزنطي حول المبادئ فلقد أعلن فتنة كل المدارس والكليات والجامعات، وحين اجتمع به أساتذة كلية الطب في هانوي طالبين منه إهمالهم عدة سنوات لترجمة المراجع إلى اللغة الفياتنامية، أمهلهم هوشي منه تسعة أشهر على أن تجري الامتحانات في نهاية تلك السنة باللغة الفياتنامية. وللصين ملحمتها الخاصة في هذا الشأن حيث لم يكن استعمال وتوحيد اللغة القومية مرهونا بإصدار قرار سياسي، لأن المشكلة اللغوية كانت أعقد من كلّ التصورات، غير أنّ الصين اختارت الوفاء لحضارتها وخصوصية هويتها القومية من خلال الثورة وتحقيق الكرامة والاستقلال بالكامل، ولذا كان على ماوتسي تونغ سنة 1949 أن يتخذ القرار التاريخي والحاسم حول مركزية وتوحيد اللغة الصينية واستعمالها لغة قومية تدعيما للوحدة الوطنية المتحققة، وكان القرار المأخوذ يوجب على كلّ صيني أن يتعلّم ويتكلّم ويستعمل اللغة الخائيّة (لغة بيكين) واختفت اللغة الأنجليزية إلّا في المعاهد التي وقع الإبقاء عليها فيها. ولم تحل

صعوبة إيجاد آلة كتابة تحوي 2200 حرف في اللغة الخانية (الصينية) تكتب لها 44444 حرفا دون اتخاذ ذلك القرار التاريخي. وحين ابتدأت اليابان لمضتها اعتبرت أنّ التحديث والتعصير والتقدم يتبدئ باللغة اليابانية ويستمرّ من خلالها، وأنّ اليابان لا يمكن أن تنهض من خارج لغتها القومية، وبالرغم من أنّ الياباني يحتاج إلى معرفة 2600 حرف على الأقلّ ليستطيع قراءة لغته القومية من خلال جريدة يومية، وهي صعوبة جدية، ومع ذلك فقد لمضت اليابان والتحقت بأوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وتفوقت على هذه الأمم في ميادين عدّة وفعلت ذلك دون أن تتخلى على لغتها القومية بل من خلالها.

وخلاصة القول إن كان هناك تقصير فهو بلا شك من أبناء اللغة العاقين وليس من اللغة ذاقها.

قد يتساءل أحد عن سبب الاهتمام بابن الخلدون في أعصرنا، وقد بلغت الدراسات اللسانية في العالم مستويات من التفكير تضاهي أكثر العلوم الإنسانية والتكنولوجية. غير أن هذا التقدم السريع جعلها تقيم قطعة مع الدراسات اللسانية القديمة، وفي هذا يقول تشومسكي: "وفي المقابل، انقطعت اللسانيات الحديثة بطواعية عن النظرية اللسانية التقليدية وحاولت إنشاء نظرية لسانية بكيفية جديدة كل الجدة ومستقلة. ولم يهتم اللسانيون المحترفون عموما إلا قليلا بالإسهامات المقدمة إلى النظرية اللسانية من قبل التقليد الأوروبي السابق، واهتموا بمسائل مختلفة جدا، داخل نطاق ثقافي بعيد عن أن يجعلهم مدركين للمسائل التي أثارها الدراسات اللسانية الأكثر قدما، والتي أوصلت إلى النتائج المحققة إلى حدّ الآن، وما زلنا إلى اليوم نجعل كثيرا إسهامات الماضي هذه أو ننظر إليها باستخفاف غير خفي

دقائق مع كاتب :

مع الشاعر والقصاص والكاتب:

عثمان الجلاصي الشريف

مصالحة : مبروك صالح المناعي

في بداية تعارفنا رأيته في مناسبات ثقافية ثم التقيته في المهرجان الوطني للإبداع الأدبي والفني بيني خلاد حيث شاركنا في دورته الثانية أيام 6-7-8-9 سبتمبر 1990 فتوطدت منذ ذلك اللقاء علاقتنا وصرنا نلتقي في الأنشطة الثقافية بالعاصمة وأحوازها وخاصة بولاية بن عروس حيث انطلقنا في أنشطة أدبية عديدة وأهم محطة تعاوننا فيها كانت في الإعدادات لبعث فرع اتحاد الكتاب التونسيين بولاية بن عروس إذ كانت المبادرة منه حيث سعى فاجتهد مضجياً بجهده ووقته متنقلاً داخل الولاية ومتصلاً بالزملاء عن طريق البريد وبواسطة الهاتف لجمع الشمل فكانت ثمرة جهوده أن انعقدت جلسة تأسيسية برادس بمقر اللجنة الثقافية المحلية بها في دار الجمعيات (دار الشعب سابقاً) في شهر مارس 1996.

ولد يوم 25 فيفري 1953 بمنطقة مرناق من ولاية بن عروس حيث زاول تعليمه الابتدائي في مرحلة أولى وأتمه في مرحلة ثانية بمدرسة حمام الأنف بجبل الجلود قال عنها: لن أنسى معلماً بها كان يقدم لنا دروس المراجعة تطوعاً والعجيب أنه كان يودب من يتغيب عنها.

وبدأ تعليمه الثانوي بمدينة حمام الأنف وعن تلك المرحلة يقول :

أذكر أسماء أساتذة أجلاء منهم الأستاذ المنصف الشطّي والأستاذ الراحل محمد الفالح رحمه الله.

ثم التحق بـدرسة ترشيح المعلمين بتونس في القرطاني حيث يتحدث عنها: أذكر من بين أساتذتها أعلاما في الفكر والثقافة: الأستاذ الكبير إبراهيم النجارة (في الترجمة) الأستاذ الراحل سعد غراب - رحمه الله - كان رئيس بيت الحكمة سابقا - الأستاذ البشير الزريبي - الأستاذ رؤوف الباسطي.

وواصل تعليمه العالي في مرحلتين : الأولى بتونس في المركز العالي العربي الإفريقي لتكوين الإطارات العليا في التربية المختصة والثانية بفرنسا في المدرسة القومية للصحة العمومية بران.

بدأ اهتمامه بالمطالعة منذ سن مبكرة (عمره عشر سنين) في المدرسة الابتدائية بجبل الجلود حيث يادر المربي "التوزري" بتأسيس مكتبة الفصل بمساهمة التلاميذ كل بكتاب. يقول عثمان عن تلك السنة: قرأت جل الكتب المتوفرة بالإضافة إلى استعارة بعض الكتب من الأصدقاء.

وواصل الإقبال على المطالعة بشغف في مرحلة التعليم الثانوي فاكشف جرجي زيدان والمنفلوطي ثم اكتشف الأدب الرومانسي بالانكباب على مطالعة كتب جبران ونعيمة وإيليا أبي ماضي والشابي. ويتذكر فيقول: بمدرسة ترشيح المعلمين وجدت مكتبة ثرية جدا باللغتين العربية والفرنسية فصرت أقضي بها أوقات فراغي خاصة في

نهاية كل أسبوع حيث أمكث بالمدرسة في أيام الأحاد فأغتنم الفرصة لمطالعة أهم الأعمال الروائية العالمية لشتاينبك وهمغواي وفكتور هيغو وغوركي. في تلك الفترة قرأت كذلك لـ مشاهير الكتاب التونسيين: المطوي- الميداني بن صالح- حسن نصر- عبد القادر بالشيخ- جعفر ماجد- إلخ ...

بدأ محاولاته في كتابة الشعر وفي النشاط الثقافي في نفس الفترة في مرحلة يفوقه بداية من سن السادسة عشرة فكتب أول قصائده بالنثرية الداخلية بمدرسة الترشيح كما انخرط في أنشطة السينما بحمام الأنف وواكب بها سينما الهواة ثم كان ضمن ثلّة تكوّنت من شباب مدينة حمام الأنف في نادي الفكر بدار الثقافة.

يقول عن مرحلة شبابه: تقدمت في المستوى المعرفي فأصبحت لي رؤية للحياة والأشياء فصرّت أقرأ في علوم مختلفة ومجالات متنوعة كالإقتصاد وعلم الاجتماع والانتروبولوجيا والفلسفة حتى تكون رؤيتي للأشياء متعددة الجوانب.

وظيفته مرّتي مختصّ مكلف بمصلحة التكوين المستمر والرسكلة بمعهد النهوض بالمعاقين التابع لوزارة الشؤون الاجتماعية إداريا وعلميا وبيداغوجيا لجامعة منوبة. له شهادة ختم الدروس الثانوية الترشيحية من دار المعلمين بتونس وديبلوم "مربي مختص" وشهادة في اجراء الاختبارات على الأطفال من المركز العربي الإفريقي لتكوين الإطارات العليا في التربية الخاصة، وديبلوم إدارة المعاهد الطبية التربوية ومؤسسات رعاية

الطفولة من المدرسة الوطنية للصحة العمومية بفرنسا.
يكتب الشعر والقصة والنقد والمقال الصحفي علاوة على اهتمامه
بالترجمة نشر كتاباته في العديد من الصحف والمجلات وله عدة مؤلفات
في طريقها إلى النشر .

صدر له :

- عالم الرؤية ... عالم الطفولة: مقولات في الشعر التونسي الحديث 1998
على نفقته بتونس وهي قراءات لمجموعات شعرية لشعراء تونسيين شبّان.
- الغزالة وقصص أخرى: ترجمة لقصص لكاتب جزائري وكتاب
أجانب لنماذج من القصص المكتوب باللغة الفرنسية 1999 على نفقته
بتونس: محاولة لرصد أهم التطورات التي عرفتها القصة المكتوبة
بالفرنسية سواء من قبل كتاب فرنسيين أو أفارقة أو مغاربة أو من
كندا والبلدان الأخرى الناطقة بالفرنسية.

- موريس كارام، شاعر الحب والسلام: ترجمة لمختارات من شعره
مع تعريف عن حياته وأعماله ومقالات عن مسيرته من قبل ثلة من
النقاد والمفكرين طبع الكتاب بترخيص من مؤسسة موريس كارام
بروكسال في بلجيكا سنة 2002 دار الإتحاف للنشر بслиانة تونس.

- القلعة: مختارات قصصية من الأدب العالمي، ترجمة الأمريكية وكندا
واليابان والشيلي واسبانيا وروسيا وغيرها من البلدان سنة 2004 دار
الإتحاف للنشر بслиانة، تونس.

- شيء من الحياة: ترجمة لمختارات من الشعر العالمي. سنة 2006 دار

الإتحاف للنشر بـسليانة، تونس.

له مشاريع جاهزة وقابلة للنشر من مجموعات شعرية وترجمات لأعمال عديدة لكتاب من عدة أماكن في العالم وحوارات مترجمة للقاءات مع كتاب وأدباء ومفكرين وفلاسفة إلى جانب قصص للأطفال ونصوص مسرحية.

الأستاذ عثمان مناضل وطني تجمعي تولّى رئاسة شعبة برادس حيث يسكن وانتخب مستشارا بلديا مساعد للرئيس، مسؤولا عن الثقافة والحالة المدنية.

وهو علم من أعلام الثقافة، عمل عضوا سابقا عدة سنوات باللجنة الثقافية المحلية برادس.

وهو عضو باتحاد الكتاب التونسيين، مؤسس لفرعهم بـعروس وانتخب في دورة سابقة بالهيئة الإدارية لاتحاد الكتاب التونسيين.

الشاعر عثمان له قصائد جميلة وومضات شعرية طريفة ويميل إلى كتابة القصائد الطويلة التي لها مواضيع إنسانية واجتماعية سامية، يشارك في كثير من الأمسيات الجهوية والوطنية ويساهم في جل الندوات العلمية ومتطوع في الأنشطة الثقافية وتنقل لحضور المهرجانات الثقافية والملتقيات الأدبية في حماس بالغ وطبعه جدي إلى أبعد الحدود في الرسميات لكنه مرح وودود ويميل إلى الترويح على النفس في أجواء الاحترام المتبادل.

رأيه في الأجواء الأدبية ورد في خاتمة إحدى حواراته:

"إنّ الأدب محبة أو لا يكون لكن دون أفتنة ودون رمي ورود وهمة فالحبة منهل زلال غير أولا أو لا تكون."

الفن الروائي: محاولة للتصنيف

بقلم: صابر الحباشة

درجنا في السياق العربي على استعارة النماذج الجاهزة فكريا وأيديولوجيا وثقافيا حتى انطبع الاستهلاك في الثقافة، ولعلّ هذا الوضع يوشّر على خطورة في الصميم، جعلت المتدخلين في الشأن الثقافي ينقسمون إلى مجموعة ترفض ما يأتينا من الغرب بجميع أشكاله وتصف ذلك بالغزو الثقافي والفكري، في حين تقف مجموعة أخرى موقف المعجب المستلذ بما تأتينا به الحضارة الغربية من منتجات ثقافية راقية على طبق من فضة.

ولعلنا لا نجاوز الصواب إذا ادعينا أنّ إشكالية التحريم والتحليل الفقهي للفن المعاصر على قدمها وكثرة الفتاوى في أمرها - لم تُحسم بعد بشكل نهائي، وهذا ما أدّى إلى انقسام الناس في الشأن الثقافي عموماً. بل لعلّه سوّغ ضرباً من الثنائية بين ما نقوم به سرّاً عندما نخلو إلى أنفسنا وما نعلنه على رؤوس الملائ من مواقف...!

طبعاً هذه الإزدواجية تفرض علينا مراجعة جذرية لمسلّمات الرفض والقبول للخروج بموقف عقلائي متوازن.

وإذا ما تجاوزنا هذا الوضع العام الذي يسم الواقع العربي وحاولنا

1 من ذلك أنّ بعض الناس يقرأون روايات يزعمهم أن تقع بين أيدي آبائهم، أو بين أيدي من يعتبرونه غير مؤهل لقراءتها!

أن ننظر في الشأن الروائي تحديداً، وجدنا قلة من الدراسات التي اعتنت بتصنيف الرواية العربية تصنيفاً علمياً لا يخلو من وجهة ومحيص.

غير أن الباحث يمكنه أن يستأنس ببعض الدراسات الغربية التي نظرت عميقاً في مدارس الرواية واستخلصت أهم سماتها ومذاهبها.

من ذلك أن جون كابريراس² قسم أصناف الرواية 3 إلى ستة:

1/ رواية المغامرات العجيبة

2/ الرواية التعليمية

3/ الرواية التاريخية

4/ الرواية-المسلسل

5/ الرواية البوليسية

6/ الرواية-الوثيقة

لا يقف الباحث في مجال الرواية العربية حائراً أمام إمكانية إدراج

2 jean Cabriés : Roman :Essai de typologie ; in Encyclopaedia Universalis.

3 يقول الدكتور مصطفى الكيلاني "من الصعب حدّ جنس الرواية الأدبي قطعياً، بل الأقرب إلى الظنّ أنّه سرّدٌ حادثٌ يستجيب لهذا العصر ويبرّ عن وعي المكان والأشياء بخطة مغايرة للسرد القصصي وأنواع السرد الأخرى في الراهن والسالف.

الرواية هي سرد المكان والكيان، ورسم طوبوغرافي مُتخيّل لوعي اللحظة الكائنية والغضاء بوقائعه وأشباهه وتفاصيله، وكتابة للتاريخ الفرديّ والجمعية بواسطة الخيال السردى، تلك هي ملامح النواة شبه الساكنة التي لها يُحدّد جنس الرواية الأدبيّ، حسب التقريب، إلّا أنّ العناصر الأخرى الحافّة بالنواة متغيرة متحوكة باستمرار نتيجة التفاعل مع الرواية النصيّة وتعلقها العميق مع أجناس أدبيّة وفنون أخرى وافتتاحها الدائم على الوقائع الحادثة." من حوار أنجزه معه كمال الرياحي بعنوان "حول الرواية والنقد الروائي"، مجلّة جسور، العدد 7، السنة 1، أيلول-سبتمبر 2005.

عناوين كثيرة لروايات عربية ضمن هذا الصنف أو ذاك. ولئن كان الباحث الفرنسي قد تتبع الخط الزمني التاريخي في وضع هذه الأصناف، فإنّ ظهور ما يقابلها في السياق العربيّ لا يخرج عموماً عن هذا التطور التاريخي، ولكن ما يبدو أنّه مختلف هو نسق الظهور وسرعته. فمثلما أدرك⁴ العرب الحداثة الاقتصادية والعسكرية عن طريق نقلها عن الغرب في فترة أقلّ زمناً من فترة اختمارها ومخاضها وبروزها في منشئها الغربيّ، فإنّ تتابع الأصناف الروائية المذكورة لم يحتاج في السياق العربيّ إلى قرون عديدة مثلما هو الحال في تاريخ الآداب الغربية، بل هو قرن أو قرن حتى أمكن لنا الإعتداد بمعدّنة روائية عربية ركبت قاطرة الحداثة⁵ عن استحقاق وكان تتويجاً بحبيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب سنة 1988- في الواقع- تتويجاً للرواية العربية إذ أصبحت على قدر من النضج تشهد به المواصفات الإبداعية العالمية. على أنّ مسألة اختصار الفترة الزمنية التي مرّت بها عملية تحديث الرواية العربية قد تخفي لحظات وهن وانكفاء لا يرقى شك في وجودها عربياً.

⁴ أدرك هنا بمعنى الوعي والفهم لا بمعنى البلوغ والوصول!

⁵ لكن لا يخفى ما يوجد عندنا من خصوصيات أخلاقية تجعل الروايات الإباحية غير منتشرة، وإن كانت بعض الكتابات "الحريرية" تورد مشاهد العلاقات الجميمة على صفحات روايتها، وهذا يدخل في ما سماه بعض الباحثين بتوسع مساحة الجرائد، ولا سيما على أيدي أقلام نسوية مثل اللبنانية حنان الشيخ في رواية "مسك الغزال" (إذ تعرضت لظاهرة السحاق) والتونسية مسعودة أبو بكر في روايتها "طرشقانة" (حيث جعلت إحدى شخصياتها عنتاً وتعمقت في سر أغوارها)... طبعاً مع احترازنا الشديد من مقولة "الأدب النسوي" وما جرى بهراها من الاصطلاحات التي تقسم الأدب حنسياً والواقع أنّ الإبداع إنسانيّ أو لا يكون!

من ذلك ما يرد أحيانا من إثارة ضجة إعلامية واسعة بسبب مقاطع من رواية أو اقتطاع أجزاء من نص إبداعيّ يتهم به صاحبه في دينه، مما يذكرنا بممارسات محاكم التفتيش في القرون الوسطى أو بمحاكمة الروائيين على مدى مطابقتهم للواقع التاريخي أو تشويههم⁶.

ولكن إذا عدنا إلى إشكالية التصنيف، فإنّ الأخذ بما وضعه الباحث الفرنسيّ ونقله حريفاً إلى السياق العربيّ أمر لا يرتضيه السليقة ولا تقبله الفطرة، ولكن ابتداء تصنيف خاصّ يبقى أمراً يحتاج إلى جرأة وتقحّم أو قل إنّ المسألة تصبح نوعاً من المغامرة باعتبار افتقارنا إلى دراسات تمهّد الطريق أمام تصنيفية شاملة لأهمّ تيارات الرواية العربية بشكل أقرب ما يكون إلى العلمية والموضوعية.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كمسألة العلاقة بين الواقع والتاريخ، بالرواية مبحث شديد التعقيد وقد كثرت فيه المقاربات التي تنظر إلى الأمر بمقدار كبير من الاختلاف في وجهات النظر. فنظرية الانعكاس بمختلف تجلياتها ترى أن النص وثيقة على أمور في الواقع (نفسية-اجتماعية-اقتصادية...) أمّا النظريات الإنشائية فتعدّ النصّ قطعة فنية تبني واقعا موازيا للواقع المعيش أو هي تعيد بنائه بشكل تخييليّ صرف فلا رواية تشكل لفوئ خياليّ أوّلاً وأساساً، وليس النصّ الروائيّ بأيّ حال من الأحوال وثيقة تاريخية إلّا بالقدر المحدود الذي لا يجعل من الإنصاف تحميل المبدع وزر ما تفعله أو تقوله شخصياته الورقية المبتدعة!

وبصل الأمر ببعضهم إلى الحديث عن اختلاف بين الزمن الإبداعي والزمن التاريخي، يقول مصطفى الكيلانيّ "لا أعتقد أنّ الإبداع الأدبيّ، والرواية تحديداً، خاضع لتأثرات الوقائع التاريخية المباشرة ولكنّ المخرّجات والتكاسات والحروب تتحوّل من مجال الصدمة إلى قيمان الذات للمبدع، لأنّ الزمن الإبداعيّ" يختلف في الماهيّة والإشتغال عن "الزمن التاريخي". حوار حول الرواية والنقد الروائيّ"، (مرجع

ولعل بعض الدراسات التي اهتمت بإنشائية الرواية⁷ تساعد على الشروع في هذا العمل ولكنها لا تكفي في حدّ ذاتها للقيام بهذا الأمر فهي تنير السبيل وتترك للناقد المستقبلي أن يتشجّم أمر مباشرة التصنيف.

ومن صعوبات هذا الأمر أيضا تجاوز المدارس وتزامنها على نحو يوشّر على تفاوت التحديث الروائي في المتن الروائي العربي سواء كان ذلك جغرافيًا أو تاريخيًا.

ولعلّه بوسعنا أن نخلص إلى بعض الاستنتاجات التي تتعلق بالسرد الروائي العربي:

أولاً: الأدب (والسرد جزء منه) لم يكتب، في الأغلب الاعم، بنية فنية خالصة، ولا للمتعة الملازمة له، ولكن بوصفه غرضاً أو كتابة غرضية أهميتها في منطوق جدواها وتبشيريته وليس في جماليته، ولا في استيفاء شروط ما يجعل منها خلقاً بديع التكوين .

7- نذكر على سبيل المثال أطروحة الدكتور فوزي الزمرلي حول "إنشائية الرواية العربية"، وإن كان بحثه متركزاً على تحليل نماذج معينة (بعض روايات الطيب صالح والبشير خريف...) فإنه لا يتخلو

ثانيا : لا يمكن أن تتحقق الحداثة من خلال نص مفرد ولا من خلال استيهامات منفردة كيفما بلغت انخزيحاتها واختراقاتها، بل هي إلى جانب ذلك وأبعد حالة مدنية وحضارية وثقافية واجتماعية ووضع إنساني شامل، وهو وضع يفتقر إليه الأدب العربي الحديث والمعاصر مهما جرؤت فيه التعابير والخطابات (8).



8- أورده عبد الفتاح الحمري نقلا عن أحمد اللديني، متحدثا عن السرد في المغرب، وهو ما ينطبق فيما نظن على السرد العربي عموما. انظر عبد الفتاح الحمري "نقد السرد الأدبي: مفاهيم وقضايا"، مجلة فكر ونقد، العدد 53.

مبتدأ التكوين

شعر : صالح الطرابلسي

مبتدأ التكوين أنت

يكتبك جسدي حرفا

من طين ...

متخن بجراحه . تلتئم !

ينبت في حدقات

ARCHIVE القلب

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وردا موعودا للشذى ،

أو شجرا منذورا

للمطر .

مبتدأ التكوين حكمه،

والحكمة كانت كلمة !

*** **

في البدء مرّي،

مرّي على درب

الهوى.

ذوبي بحرقة !

كم

من أنفس للهوى

تأقت. فضاعت في

ARCHIVE
تولها !

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

درب الهوى وعر

أشواكه تدمي !

*** **

العهد، هلمي نجده

قد أنست فيك موعده

أشد ..

على نورك هدى

للحب في الناس

يجلي ظلام الليل

سناء

وفرقه !

اني المشوق للقياك



ARCHIVE

العمر للهوى ضوعا

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

فاستشقي نسائه

ثم ذوبي ...

ذوبي بحرقته !

*** **

مدي إلى الروح

أكوأبا من السكر

تحييني

اني أموت

ان جف مني

الوطاب !

يبقى هواك ...

للقلب نبضا، فلا



ARCHIVE

النبض...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يفنيك ويفنيني!

*** **

هلمي ...

نضيء القلب نبضا

من العشق

ونزرعه في زحمة

الناس

شجرا ...

منقلا بثمار المحبة !

ونعيد للأرض ...

ورد قيامتها !

*** ** *

عشقك منفاي، فمري

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

واحشريني في

ترائبه !

لملمي اشتاتك في

واهرعي إلي ..

خذي

إلى موعد في القيامة !

*** **

مدّي إليّ من ...

نار الهوى مفاتيح،

لافتّحني فيك جلياً،

وافتحك في مدى

شاسعا



ARCHIVE
ياوريك وياوريني !

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

*** **

الوردة معراجنا

للقيامة

لا بد من رحيل إلى

فيضها في الرحيق !

نبنتي للعشاق عرينا

في حدائقها !

تفتح براعمها للرياح

تروضها

تتشرب قطر الندى ...

وتمد للشمس أفقها

في عرين الصباح !



ARCHIVE هذا مراكبك ..

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بين الضلوع اعد

مرافقه !

هلمي للإبحار

باسم الشعر ،

مجرأه ومرساه !

*** ** *

كوني لي مطرا !!

عبي لي ظمأ !

أنا الفينيق، وأنت

لظى العشق

يبعثني ...

من رمادي

فيضرمني !

ARCHIVE

من بين ضلعي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سأخرجك

وكلك فتنة ...

ستقتلني وتحبيك،

لاشعلني بلوعة

العشق لهايا

فمضناي

ومضناك !

في العشق، لا

تخشي

نيرانا توججه

*** **

كوني لي الألف

الألف

كوني كماني !

إني أموت إذا غادرتك

سأذيقني الآن فيك

سحرا سأسقيك من

انخابه حتى ...

يدرك الليل أن

الشمس

قادمة ..

الصبح مرساها

يوما ستأوي إليه

فتسكنه !

مشكلة أسود وأبيض

شعر : نصير غريب

العراق

الأسود يشبه

الأبيض،

إنها الإنسانية،

أتكلم عن العدالة،

ARCHIVE

يزرعان الورد

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- الأسود يشبه

الأبيض -

أمام قداس الخليقة

ولا يدعاني

أكلم حبيبي !

دعاني أكلم حبيبتي .

يسرعان

- الأسود والأبيض -

باتجاه الأص

يداعبان الأرقام

ولا يدعاني

أحدث حبيبي ،



ARCHIVE
مكتبة

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

الأسود على

الورقة،

والأحمر

أسيان

إنهما بحجم

الرقعة

ولا يدعاني

أكلم حبيبتي

حبيبتي قبله

بين النقلات،

أتكلم عن الفوز

والخسارة،

إنها الإنسانية،

ARCHIVE

يتناولان

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

على الكذبة

يدوران على

الروليت

ولا يدعاني

أقبل حبيبتي،

دعاني أقبل حبيبتي

الأسود يشبه

الأبيض

يقنّسمان الزّهر

على الرقعة، ويكرّر ان المشينة

مصير واحد

لهذه البشرية

- الأسود يشبه

ARCHIVE
الأبيض -

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

إنني أتكلّم عن

الدومينو،

إنها الإنسانية،

هذان الأسود

والأبيض

لا يدعاني،

موزعان

على الكرة

ومضطربان

على الخارطة،

الأسود

والأبيض حجابها برزخ نفسه



ARCHIVE

حبيبتى، حبيبتى

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تشبهني،

الأسود يشبه

الأبيض،

دعائي أرسل

ضحكتي إلى

الطاولة،

فحبيبتي من

نراب،

وأنا أشبه

الوردة!

لا يدعاني،

نتويع على



ARCHIVE هذان

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

الأسود يشبه الأبيض

إنني أتكلم عن

الإنسانية،

أعني الذاكرة،

يتعاقبان على

الشريط،

المهم أن أكلّم

حبيبتي

دعاني أهزأ من التفاحة

الأسود يشبه

الأبيض،

يكثر ثان

بالعدم،

ولا يدعاني،

إنني أتكلّم عن نفسي، نفسي تسيل

بالأسود والأبيض،

دعيني أكلّم

حبيبتي

يا نفسي.

وهذه الاستدراكات بعد المهمات والاعترافات

شعر : أمال سقطة

أنت ...

وما أنت ؟ ... وما أنا ؟

هل نحن فعلا هنا ؟ ... ومن هنا ؟

لو كنتك
ARCHIVE
... بعد ان عطرت الهواء غزلا ...

كنت ركبت ركبت جمال العرب

وتسلقت جبال إفريقيا

ورسمت لنخيل تونس

شوقي لطير "إشكل"

لو كنتك

... عشقا للأمل ...

كنت إنشيت بهمس وريقات الصقصفات

واقصت نشوة إنفلاتي

وفتحت عيني المفتوحتين

ونساني النسيان ! ...

لو كنتك

كنت صليت فتاتا لحراق الغابات

وحدائق تينك القرآنية من بنات المدن

كنت نثرت من حين إلى حين

شوك سلطان الغلال

في واحات فنون القبل

لو كنتك

كنت أسكرتك في أريكتك بسياقتي

وفي بطء وثبات

كنت سقيت جنانك الغناء

بالفسفور

كنت أبدعت في سياسة المقود

وجفوني مضفورة بجفو ...

لو كنتك

كنت لهثت لترتاح

كنت ابتسمت لحريرتك

لرائحتك استلقت

وعذلت ... تنفسي بأنفاسك

ARCHIVE

لو كنتك

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كنت تكهننت رومك لمداعبة الطريق الطويل

كفارس يسوس جوادا عربيا أصيلا

كرجل الأربعين مع نبنة خضراء

كعازف يضحك الأرض العذراء

بكمان يضيء ينوس

ينن يهتز يشتعل

وإذا بنغمتي تتنوع بلمساتك الألماسية

وصوتي نبراتك روح أحنك لحنه

أه ... لو كنتك

كنت سهرت على رحلة نجومك

حتى عودة العمر

كنت تجنّدت صباحا عشية

وحتى يوم الأحد

لشهور الجنون والزجر والمدّ

ARCHIVE

لو كنتك

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ما غفلت البتّة ! ...

ما تركت راحي يروح لراحك

يبوح بأرواحنا وتتأغم الراحةات ...

لأي راحة تصبوان ؟

ومثلكما مثل "الشربيو" والرّمال

والتراب للمياه !

فما هذا ؟ برعم خلف أم سراب ؟!

لو كنتني

كنت تملك في رجع الصدى

كنت سهرت على رشاقة حوار البرّ والبحر

كنت خبأت بذرة الشريك في صراط هندي فأنح

ورفضت حتّ .. مئة الموت ... له ... ولها ...

وما أذناي يا كياني ! إلا أذنك وأذني في ثنائي

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تزوجت صوتك

وتعلّمت الإصغاء

لبياض عقودك

كلماتك لفتني حلاوة

وجففتني

عبارتك عذوبة

وما أجهله كفتني

وأطلق بي بعيدا بعيدا ...

تحذير أوّل

شعر : البشير التلمودي

الإهداء :

إلى هذا الإنسان المهزوم زمن الصّحو ..
والمسلوب زمن التّوم !

في الموعد المحدد...

لا قبل ولا بعد...

ARCHIVE
...كالومضة...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يؤتى بك بلا إشعار...

صانحا...

مغمض العينين...

يرمى لك في قاعة انتظار شيء قد لا يأتي...

زنزانة!..

ومع كلَّ شروق وكلَّ غروب...

يتسلل شيء من الضوء في عينيك...

شيء من الوعي في أوصالك...

يأخذ الظلام شكل الضباب...

ويفقد النور وجوده أحياناً...

تتشابه الدموع...

تختلط بحبات العرق...

ARCHIVE

ومثلك أنت...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

...تبكي السماء في صمت!..

.....

وللمرة الأولى...تعرف يا...

...الآتي من أفق الغيب...

معنى الحزن...

ومعنى اليأس...

معنى المكان المنهار...

معنى القلق...

ومعنى الزمن الهارب!..

.....

للمرة الأولى...

يتولد الحبّ فيك من رائحة الموت...

كما لو أن الموت منبع الحياة...

لكن الإحباط كان هو الحارس...

في هذا القبو...العذب...

العجيب المؤلم!..

.....

ترى؟

متى سيقراً قرار العودة؟

ترى؟

من..سيقدر على تصوّر ما وراء العتبة؟

.....

تري؟ متى؟ من؟

منذ لحظة التخطي...

حتى زمن الإنشاء...

حتى زمن العودة...

متى ستعرف المستحيل يا أيها السراب؟

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

من يمنحك هذا المستحيل؟

أي لمسة سحرية يمكن أن تحوّلك يوماً.

إلى لمسة سحرية يمكن أن تخرجك من عالم الضباب؟

من سيفجّر طاقاتك الكامنة؟

من سيجرّدك من نقائصك؟

يطهّرك...؟

يسمو بك؟...

يعود بك..إليك؟

من عالم لا يعرف الأدران!..

.....

في الموعد المحدد...

لا قبل ولا بعد...

...كالومضة...

ويلا إشعار يتم اختيارك...
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

مستسلما لرحلة الوجود...

راضيا...

مبتلّ العينين...

مثلّ العينين...

مثلّ السماء وحدك تبكي...

في صمت!...

السير على درب التبان ...

قصة : نجاح زقية

ظلال أربعة تقتفي بعضها في صمت وتسير نحو غايات مختلفة، لم تجمع بينها سابق معرفة ولكن الطريق واحدة وتعرف باسم درب التبان مثلما يشير إلى ذلك لوح قلم كأنما قد كتب منذ الأزل، وتبدو طريقا وعرة طويلة تمتد حيناً، ثم تتعرج وتنعطف، وتتعرّ على جانبيها أوهام أشجار باسقة كانت تتحدى الزوايح والأعاصير، وصارت مهادنة تنحني لهبات النسيم... واقفة في انكسار أشجار الروم تلعن أحذية النسيان، وتنتبه لمن يمرّ بالدرب لعلّ أحد العابرين يحمل معه حلما أغرّ يستحيل أملا يعانق الممكن ويضع الصخرة فوق قممتها فيرتاح سيزيف بمشواه، أو ربّما يحمل هذا العابر - كما تقول النبوءة وإذا ازداد كرمه وعظم شأنه - غيمة تمطل مطرا.. غيثا نافعا لا ذهباً أصفر أو أسود يتبع بفرقة أحذية الغزاة.. مطرا بعاقا يجرف الزبد والغشاء العفن الآسن، ويجعل الأيام العجاف حبلى بسنابل واعدة.. الظلال الأربعة اضطربت وخفقت للريح عندما هبت واهنة خفيفة مثل ملك يلعب غلماناً، ولما اشتدت الملاعبة وتطوّرت المداعبة تمايلت الظلال وترتحت وتكوّمت فوق بعضها البعض، وأوهام الأشجار العتيقة قهقهت عاليا بصوت يشبه العويل أو هو النعيب الموحش يزلزل أركان النفس ويخترق العظام حتى يبلغ النخاع.

لما تماثلت الظلال الأربعة للشفاء من وقتها الأولى المباغتة على
درب التبان واستفاقت من حالة الارتباك، تساندت ووقفت وأخذت
تتعارف فيهم بينها، وكل ظل يتلمس الضلوع والأطراف ويتحسس
الرأس و المفاصل. حدث التعارف تحت ظل شجرة سرو عملاقة
أنهكتها الظلومات والعواصف الهوجاء وأتى عليها الدهر بأنواع الهموم
ليبتلي فتكلست عروقها وتجمعت جذعها وتقوّست هامتها السامقة
بصورة واضحة، وانحنى شموخها الأبيّ، وما عادت تنظر للأرض من
عل، بل هي حصباء الأرض وهوامها تشرئب صوبها بين مسفحة
وشامته فأما المشفقون فيناجوها منكسرين يا شجرة الحكمة وأما
الشامتون فيرجوها حاقدين يا شجرة اللعنة.

قال الظل الأول يعرف بنفسه متشبّها بفرع من فروع الشجرة العملاقة
وعينه كشهاين من تاريخنا انطقاً: <http://Archivebe>

-أنا مسافر مطيته الخيال والمطية يلحمها العجز... مرّ من حياتي عهد
طويل أشتهي خلاله الكلمات فلا أجدها وعندما تشتهي الكلمات لا
تجدني وأعرف أنّ المجد للحرف ووقع القنا، وبى ميل للطعان فوق
الورق، ولكنّ الحرف عاص لا يرضخ، ولكم تجرّعت عصارة القهوة،
ودغنت لفائف الضرّ والنفع لعلّ العصي يلين ويأتي عبر فلول اليقظة
العارمة ولكن بلا جدوى، فتملت بمعتقد الكميت، واستقيت خالص
المدام، وتعاطيت شتى أنواع الأفيون عسى الطائر النائي يحطّ أثناء
الغفوة العميقة ويكون عقلي له خير أيلك، بيد أنّه استمرّ عنيدا هاربا

وبقي الأيك حزينا خاويا تصفرّ الخيبة بين الجنات، وإذا بي على أشبع حال وفي شرّ البلايا، أحسنّ الوجدان يتململ ويموج ويتنفخ، بينما العقل الرعدي لا يلد شيئا، وكلّما أصررت عليه وألححت في طلب الولادة أقام لي هيكلا عظيما من الكلمات... مبني ليس أجمل منه ولا أروع ولكنه أجوف من الداخل واللّب أفرغ من فؤاد أمّ موسى. ولقد نُصحت بعد طول عناء بضرورة الترحال وحُملت على السفر والخوض غمار المحن والتجارب، لعلّ العقم ينجلي والطائر الهارب يحطّ في أيّكه، وأتوافق مع غايّتي ويشرق صباحي بنور الهدف المنشود، وما إنّ السعي الجهد قد ساقني إلى هذا الدرب الوعر الخفوف بأخطار الريح والعثرات والصحبة المجهولة.

أكمل الظلّ الأوّل قصّته وقرّص أرضا، فتبختر الظلّ الثاني وغمّيس ليروي خطبه وأمسك بذات الفرع حتى كاد يقصمه، وتألّمت الشجرة برهة ثم أطرقت تُصغي بانتباه شديد :

-أنا الواهة البتول... هاربة من رمضاء الحب، أنشد واحة هادئة، أواري في بطنها ذكرى حبيب ومزل، وأرمي فوق أديمها شجون الفؤاد المكلول، وأستقي من عيونها راح الخلاص، ولقد نُصحت أيضا بتغيير الديار طلبا للواحة الموعودة... حنّة السكينة والطمأنينة، وزهرة اللوتس أستنشق أريجها الخالد فتسقط ذاكرتي اللعينة، وأنسى فعلتي النكراء برجل أحببته ذات ربيع ولما حلّ خريف العمر أردت تشذيبه الكفصن، وتقليمه كالأظافر وتنقيفه كالنصلن وصقله كالماس، فغدا شبحا مرعبا

أبعد ما يكون عن حبيبي وانتابني حسرة الجزع حتى كدت أهلك من هول الفجعة، وولّيت وجهي للخلاء أحوس المسلك تلو المسلك، إلى أن تراءى لي ظلّك أيّها المسافر خلف الكلمات الهاربة، وارتأيت في عزّ محنتي وبأوج وحدتي أن أتبع ظلّك لأستمدّ من وجودك أمامي بعض الأنس الصامت، لاسيما في ليالي الأرق الغلساء، والمرأة كما تعلم جُبلت على الضعف ونفاذ الحلم عند الأهوال وليست تقوى على السفر بلا رفيق أو مؤنس زمنا طويلا.

أفرغت الواهة البتول سحنة الضيم والشكوى وقرصت حوار المسافر خلف الكلمات الهاربة، فاستراحت الشجرة من ألمها وتنفس فرعها الصعداءن ثم همدى الظلّ الثالث مختالا وقال وبالكاد يلامس الفرع المعلي:

-أنا الظامئ السّغب، والكلمات لا تعنيني يا ذا المسافر خلفها، بل غاييتي هي نفسي، أروي ظمأها، وأشبع مسغبتها، وأنزع لها ما تروم وما تشتهي، غاييتي لا تسأل قطّ عن معنى الكلمات ولا تبحث في طبيعة الوسائل والأدوات، ولا يهّمها أن أكون وضعيا أو شريفا، لثيما أو نبلا، كاذبا أو صادقا. الكلمات عندي كالحياة مجرد مسافات، والنفس ترضخ لأقصراها. لذا فالحبّ آتيتها الواهة البتول ضعف وانحدار، وأربأ بحالي أن تحكمني مجرد عضلة ذات إيقاع قوي تسمح لمن هبّ ودبّ بتعديل دقاتها، وتخصعني للتشذيب، والتقليم، والتثقيب، والصقل.. أنا لا أحبّ. أنا فقط أشتهي، ثم أدوس ما تلفظ شهوتي لأجوع من جديد،

وأضماً للمزيد، وحاذراً أن تسخرأ مني هازئين:

-هنيئاً لك بهذه النفس!.. بل تساءلا

-ما الذي قادني إلى هذا الدرب لأتعثر بكما؟ وسوف أحييكما:-إنه الجوع الشره أبدا يطحن أمعاء وجودي ويعذبني...إنه الظلم فيحمد سعيره، أو يحالفني الحظ الوفير وأصادف وليمة تكفي مستغيتي، و نبعأ لا ينضب معينه فينسط الرضا قراحا يشفي ظمئي، وما نحن نلتقي على نفس الدرب.

أتم الظامئ السغب روايته البوهمية، وأقعى أرضاً، فانبرى الظلّ الرابع يتحدث حديثاً كلغو الجانين، ساهم النظرات، شارد الذهن، مرةً بمسك بفرع الشجرة المصيفة بالنتباه شديد، ومرةً ينفر منه وينأى عنها تحدث قال:

-هل سبق وأن رأيتم بيت العنكبوت معلقاً بالسقف أو في زوايا الجدران؟ انتبهوا! غيوط العنكبوت ليست متدلّية هنا أو هناك..إنها تلفني مثل الكفن، وعبثاً أحاول تمزيقها لأنعتق وأنفّس بعمق..أريد الحرية أيها الأغبياء ولكنّ عنكبوتي..عدويّ القميء ذو السيقان الطويلة والقم البشع سرعان ما ينبعث حيّاً، وغيوطه السوداء تتكاثف في لمح البصر ويقع في شراكه جزء مني فريسة سهلة بعد انتظاره القصير...

ويحكم لا تقولوا كم هذا عجيب!! قصّتي مازالت مسلية..هل رأيتم فصل السكّين يغرز في لحم الأضحية يوم العيد؟ السكين يا أوباش لم تغرز في لحم الأضحية باليوم المبارك..إنها تغور بأوصالي..تنحدر رويداً،

رويدا كالشمس حينما تضارع المغيبين ثم تنعطف يسارا وتغرّق شغاف العضلة ذات الإيقاع القوي ولكّني لا أموت، والسكين بعد متمكّنة لا تنتزع، لعلّها تمّادن بعض حين تستيقظ بغتة... صارت تستيقظ حتى في يوم العيد وبقع الدماء تتناثر... تتناثر.. انظروا للدماء تلوّث الأسقف والجدران أيّها العميان ولا تقولوا عن أيّ جدران وأسقف أحدثكم ونحن محض ظلال هميم في الخلاء!.. تأملوا جيّدا وسوف ترون الخلاء ملوّثا بالدماء.. إني أسمع همسكم هل تسألون بعد من المعنوة؟.. أنا لا أحد.. ربّما كنت أحدا أو شيئا ذات زمان ولكّني الآن لا أحد، ولا شيء، بل حتى أحقر الأشياء لا تعرفني.. هذا يغيّر البالي أليس أحقر الأشياء؟ إنه يجهلني وقول بأنّه أشرف مني.. أنا لا شيء وأريد أن أكون أحدا فلم أكن.. أريد مساحة نظيفة لابي سقفا نظيفا وجدران نظيفة... أبحث عن نفسي تحت الكفن.. أبحث عن بيت العنكبوت يُحاك من خيوط الظلام والغبار والرصاص المصهور، ويلقّني به العدوّ القميء ثم يفترسني جزءا، جزءا.

ازداد تقوّس الشجرة وتمالك فرعها نحو القاع بقية الظلال فيم بينها وقد هام المنحنون على وجهه وإن كان لم يزل على نفس الدرب... قال المسافر خلف الكلمات:

-والله ما فهمت من لغوه إلّا نِزارَ النِزْرِ، ولكنه قد أوجع القلب وأجرى المآقي، وإني لأحسّ الوجدان يتململ ويضطرب على وشك أن ينتفخ.
وقال الظامئ السغب ساعرا:

-وماذا تنتظر يا صاح... اتبع خطاه حتى يحين المخاض حتى يحين المخاض، أو لا تفعل عافاك الله فإني أراه بالوالهة البتول أجدر ولها أنفع، تشدّب خوره، وتقلّم شروده وتثقف هذيانه، وتصلق النافر الحادّ، وتمله لدخول الفؤاد المكلول والواحة الهادئة.

فردّت الوالهة البتول تشيع النائي المعتوه بنظرات الأسى الشديد:
-لست إبراهيم الحنيف أدخل الحريق مرتين وألفاه بردا وسلاما، ولست أيوب الرضيّ أصبر فوق الصبر صبرين.. أنت أيها الظامئ السغب يا غريزة البهيمة، أراك صنو الشبح الذي أفرع قلبي فهربت منه إلى غير رجعة وأما المعتوه، فوا حربي عليه!!.. إنه صنو المفقود الذي سقط مني بعد فعلتي النكراء وغدا شبعا مرعبا أبعد ما يكون عن حبيبي، وإن جازفت واقتفيت أثره وتصاحبنا، تعثرت بالحجر مرتين، وأعدت القفلة النكراء، فليضرب بدرية وحيدة يتولاه الله!، وقم بنا أيها المسافر خلف الكلمات الهاربة!.. امض أمامي أنيسا كما ألقنا إلى أن يحطّ الهارب منك في أيكه، أو أصل جنّتي الموعودة.. واحة الخلاص وزهرة اللوتس، أو تفرّق بيننا السبل!

وعاد الوضع الأول شبيها جدا بسالف عهده.. ظلال أربعة تسير في صمت نحو غايات مختلفة، أحيانا تقتفي خطى بعضها حتى تكاد تتلامس، وأحيانا يشدّ نفر منها عن الدأب ثم يرتدّ بعد ناي، أما الطريق فعمازالت وعرة طويلة على درب التبان، وأما ظلال الأشجار الباسقة المبعثرة على الجانبين والتي كانت تتحدّى الزوابع والأعاصير ذات زمان

غابر، وصارت مهادنة تنحني لهُبَات النسيم، وتقف في انكسار لتلعب
أحذية النسيان، وتكتفي بانتظار وعد النبوة لعلّه يمرّ، فإنّها انكفأت
تسائل الشجرة الزعيمة... شجرة الحكمة أو اللعنة، عن الحدث الأخير
وعمّ سيحدّ فقالت تبسم كمدا:

- قهقهن يا أشجار... هولاء العابرون ظلال الظلال، مخاض
والهروب.. هولاء أبناء التعب، وإرهاص الكلوم.. بقايا السغب والجنون،
فهل يتحدون؟.. إني لا ألع غير أمل ضنين، فالصبر يا أشجار ونكّسن
الغصون.. وقهقهن!.. قهقهن!..

عندما نقول بداية.. غالبا ما نتصور عملا متواضعا سواء على مستوى
الفكرة أو على مستوى الإنجاز. وهو عادة ما يكون مجهولا من طرف النقاد
نظرا لقلة خبرة صاحبه ومحدودية وسائله وقصر تجربته وقلة مراجعه. فلا
صاحب النص يتجرأ على إظهاره مستقبلا ولا النقاد يدرسونه بعمق. فلكل
عامل بداياته ولكل عمل مراحل نضجه وتطوره. وقد يحدث لدى بعض
المبدعين العكس لأن الارتداد آفة بعض الأعمال وقد يبقى الكاتب طيلة
مسيرته على العتبة التي بدأ منها فلا هو يطلع على ما كتبه الآخرون شرقا
وغربا ولا هو يتطور.. بل يبقى يجتر أفكاره السابقة كما أنه المرجع الوحيد
الذي يعطي ولا يأخذ. وقد سقط في هذه المطبة العديد من أدباءنا العرب.
وقد نعود إلى هذا الموضوع الخطير في حديثنا الآتي حتى نحاول فرز الغث من
السمين وحتى لا تبقى الشجرة حاجزا للمشهد الثقافي الأول في البلاد بيننا
وبين أشجار الغابة الأخرى لأن المثل الشعبي يقول (وفي السوق أكثر من
مرزوق واحد).

حوار مع الرسّام : الأخضر بن طيب

حاوره : محمد العائش القوي

س1: من هو الرسّام الأخضر بن طيب وكيف كانت بداية مسيرتك التشكيلية ؟

ج1: أنا مواطن حيّ يرزق على خريطة العرب تونسي المنشأ والمولد 1952 من أبناء بلدة القطار - معتمدية من ولاية قفصة- مستقرّ بجنوبها الدافئ منذ أن كنت نتفة ومازلت...أما بدايتي مع فنّ الرّسم فهي تعود إلى سنّ الطفولة-النصف الثاني من القرن الماضي-وأنا تلميذ على مقاعد مدرسة القطار الابتدائية أجّدت نسخ الخطّ العربي والفرنسي ونلت إعجاب وتشجيع معلّمي بالسنة الثالثة على ما أذكر 1961 وتفوقت في مادّة التصوير على كلّ زملائي وعلقت تصاويري على جدران القسم 1962 تلك هي بشائر موهبتي وبذرة هوايتي للرّسم رغم أنني لم أعرف أي رسّام ولم أر معرضاً للرّسم...وما أتذكّره حتى الآن بضع صور معنّة على جدار بيتنا تمثل الجازية الهلالية والبوارق وقطع رأس الغول وما شاهدته باهتمام بالغ من صور تُحلّي كتب القراءة الفرنسية والعربية واعتقادي بأنّ "العرق دسّاس"....

س(2): تعني أنك لست من وسط قتي ورغم ذلك برزت موهبتك في الرّسم في مرحلة مبكّرة فكيف واصلت مشوارك في هذا الوسط القروي المنعزل في ذلك الوقت؟

ج(2): عندما انتقلت إلى مرحلة التعليم الثانوي بداية من المدرسة الثانوية المهنية للفلاحة بقمودة سنة 1968 انتقلنا إلى المعاهد الثانوية بقفصة سنة 1970 تطورت تجربتي في الرسم بالممارسة والمحاكاة أكثر منها معرفة وإتباع قواعد أكاديمية توجتها بأول معرض مدرسي للتصوير بالمدرسة الثانوية للفلاحة بسيدي أحمد زروق قفصة سنة 1970 جميع بورتريةاتهم لأهم رموز الحركة الوطنية كما شاهدت لأول مرة معرضا للرسم لمجموعة 70 بقاعة نادي الضباط بقفصة المدينة عرفت وقتها عديد الأسماء للرسميين التونسيين وأصبحت أتابع عبر الصحف اليومية والمجلات أخبار المعارض التي تقام بتونس والعالم وأفكر بجدّ في إقامة معرضا للعموم وتمكّن وقتها شيطان الرسم منّي وشغلني حتى على مراجعة دروسي بل أصبحت أثناء الدروس أتلّهي بتخطيط الرسوم على كراسي مما لفت انتباه أستاذي الفرنسية في مادة اللغة الفرنسية على ما أذكر ونبّهتني إمّا بالاهتمام بالدّرس وهذا الأفضل أو الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة بتونس؟....

س(3): طبعا... اخترت الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة واحترفت فنّ الرسم؟...

ج(3): بالفعل تقدّمت سنة 1973 بمطلب الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة بتونس العاصمة والتي يديرها آنذاك ع. الفقيه راغبا في تعلّم قواعد الرسم على أسس أكاديمية لأحترف هذا الفنّ الجميل لكن لم تجر الرياح بما اشتهت طائرتي الورقية رفض مطلبي لأن المدرسة لم تعد تقبل

إلا المتحصلين على شهادة البكالوريا حسب الرّدّ الذي أحتفظ به حتى يومنا هذا وتحوّلت إلى المعهد التكنولوجي للفنّ والعمارة والتعمير ورغم صدمتي وتأثري البالغ لهذا الرّفّض لم يشينني ذلك عن مواصلة مسيرتي التشكيلية التي عولت منذ الوهلة الأولى على تكويني الذاتي-العصامية- وأقمت أول معرض شخصي للعموم سنة 1972 جمع أكثر من 40 لوحة ودليل المعرض وافتتاح رسمي بفضاء دار الثقافة بالقطار التي يديرها آنذاك المرحوم إبراهيم الزبيدي الذي سيلتحق في ما بعد بإدارة المندوبية الجهوية للثقافة بقفصة وتعدّدت مشاركاتي خاصّة في التظاهرات الثقافية الملتزمة بجهة الجنوب دعماً لقضايا الحقّ والعدالة والحرية والتزمت بمبدأ الفنّ للفنّ لفترة طويلة وتواصل نشاطي التشكيلي لأكثر من 3 عقود دون انقطاع حتى يومنا هذا بين المعارض الشخصية والجماعية وتنشيط الورشات..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

س(4): وماذا تمثّل هذه التجربة التي تواصلت لأكثر من 3 عقود على الصعيد الجهوي والوطني؟؟

ج(4)-موضوعياً-أنا لا أقيم تجربتي المتواضعة كأيّ رسّام أو شاعر أو مسرحي وموسيقي وغيرنا عن المبدعين بل المتابعون والنقاد بالخصوص هم المعنيون بالتقييم ومهما كان تقييم-الأناس-لن يخرج عن دائرة الانطباعات والمؤسف حقاً غياب المتابعون والنقاد لأنشطة الفنون التشكيلية وغيرها من الفنون مما سيرك فجوة في تاريخ الفنون في بلادنا خاصّة في أواسط القرن المنصرم...أعود وأقول إنّ تجربتي المتواضعة قد

تكون ساهمت- إلى حدّ ما- في تنشيط الحركة التشكيلية ونشر الثقافة الصّربية بفضل المعارض العديدة التي أقيمتها في مختلف فضاءات الجهة وكذلك الدّور الذي تلعبه حاليا جمعية الفنون التشكيلية بقفصة التي ساهمت في تأسيسها مع ثلاثة من خُرّجي المعاهد العليا للفنون سنة 2001 وتهدف بالأساس لإقامة المعارض الفرديّة والجماعيّة والتظاهرات التشكيلية والندوات ومن أبرز نشاطها المعرض الجماعي لصالون قفصة للفنون التشكيلية الذي سيدخل دورته 7 لهذا الموسم الثقافي تصاحبه ندوة اخترنا لها هذه الدورة المنسّوج الحائطي-تجربة أمّحيدة وحّادة نموذجاً-

س(5): وأين تتموضع هذه التجربة الثرية على الصعيد الجهوي في مسيرة الحركة التشكيلية التونسية؟

ج(5): الحقيقة أنّ نشاطنا التشكيلي التونسي لا يقاس بنشاط الرّسام الفرد بل يقاس بنشاط الأجيال ونذكر هنا الأجيال التي دخلت التاريخ بعد اكتمال تجربتها يتصدّرها جيل الرواد يشقّيه الذي ظهر في عهد الحماية مع الصالون التونسي ونذكر منهم يحيى التركي وعمّار فرحات وبعد الحرب العالمية الثانية وحتى مطلع الاستقلال وظهور جماعة "مدرسة تونس" ونذكر منهم: جلال بن عبد الله علي بالأغا وإبراهيم الضحّاك وبعدهم جاء الجيل الثالث جيل الشّبان جيل الستينات والسبعينات الذي تمرّد على التقاليد الفنية السائدة للرواد وانخرط في التجارب التشكيلية العالمية ومنها التجريدية والسريالية والتعبيرية وغيرها

وتكوّنت مجموعات فنية منها جماعة الأربعة وجماعة الخمسة وجماعة السبعون نذكر منهم: الحبيب شبيل والحبيب بوعبّانة ومنصف بن عمر وتموضع تجرّبي مع هذا الجيل حيث التزمت بالنشاط التشكيلي بالجهة كما ذكرت لك سابقاً...

س(ك): لم تذكر لنا الدراسة الفنية التي تأثرت بها وكيف انضمت لعضوية اتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين بعد قناعاتك السابقة بعدم الاصطفاف؟...

ج(6): إنّ جيل الستينات والسبعينات كان أكثر تحرراً في الفعل التشكيلي وانفتاحاً على التجارب التشكيلية العالمية الغربية والشرقية من تجريدية وتعبيرية وتكعيبية وغيرها وساد التزم بقضايا حقوق الإنسان والتحرّر في تلك الحقبة التاريخية الهامة وما طرأ في بلادنا من أحداث هامة وقد تعاملت مع أغلب المدارس بغاية التجريب لكنني كنت أكثر ميلاً للتشخيصية كما اشتغلت مدة طويلة على فنّ الكاريكاتير للتعبير عن مشاغل هامة في تلك الفترة نالت استحسان ومتابعة الجمهور المستهدف وحققت بفضل التنوع والتجريب معاني التغيير كقيمة جوهرية في العمل الإبداعي... أما انضمامي لعضوية اتحاد الفنانين التشكيليين فكان نهاية مطاف قناعات فكرية حيث لم أكن أركن للتنظيم والاصطفاف لكن بعد تقدم العمر على الفارس أن يرتجل ويستمع للخطاب الجديد خطاب هيئة مديرة طوافة لحرية التعبير وإنعاش قطاع الفنون التشكيلية المهمّش والمتخلف نسبياً عن بقية الفنون

ولا مدخل للمجتمع المدني إلا بدعم بمجهود الجمعيات في مختلف الاختصاصات.

س(7) سؤالنا الأخير في هذه السهرة الرمضانية بفضاء دار الثقافة ابن منظور بقفصة أين وصلت مسيرة الفنون التشكيلية التونسية وآفاقها في خضم التحولات الكبرى العالمية ومنها هيمنة الصورة؟؟.

ج(7) هذا هو السؤال الأول وليس الأخير لأن كل ما حدثت عنه هو ماضي... تاريخ والتاريخ خير أما حاضر ومستقبل الفنون التشكيلية وكل الفنون والعادات والتقاليد لنقل الثقافات المحلية والخصوصيات والتنوع كلها مستهدفة في خضم تكنولوجيا الاتصالات وسياسة العولمة وما إلى ذلك من برامج الهيمنة وحتى أكون دقيقا لا أجزم بنوع الاستهدافات إن كان الاضمحلال أو الاندماج أو الانفلات وحتى لا أحيّد كثيرا عن سؤالك باختصار شديد لا بد من الاهتمام بهذا القطاع الفني وعلى الدولة مسؤولية وعلى الفنان-الفرد-مسؤولية أكبر فلا يمكن في عصرنا الحالي أن يتصدى أيّ كان في هذا العالم لتهاطل-الصورة- وما يصطلح على تسميته بالمعلومات والمعرفة من فضاء كوني مفتوح ولا يعقل أن يظل أيّ كان متقوقعا على نفسه يجترّ الوهم على رنين الماضي...

هوامش:

- * رسّام عصامي مستقرّ بالجنوب التونسي.
- * ولد بالقطار سنة 1952 من ولاية قفصة
- * بدأ إقامة المعارض الشخصية والجماعية منذ سنة 1972.
- * عضو عامل في اتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين (UAPT)
- * عضو مؤسس لجمعية الفنون التشكيلية بقفصة 2001 (AAPG).

أهم المعارض

المعارض الشخصية:

- * شارك في عديد التظاهرات الثقافية والملتزمة بجهة قفصة سنة 1977.
- * ١٩٨٠ في عديد المهرجانات الموجهة للطفل بالجهة الوطنية 1984.
- * أقام معرض -كاريكاتور تحت إشراف اللجنة الثقافية الوطنية عرض بقفصة، توزر، دقلش، صفاقس، مدين وجربة سنة 1989-1990.
- * أقام معرضا بمناسبة ألعاب البحر الأبيض المتوسط بتونس الدتورة (14) بغضاء دار لوتقو بقفصة سبتمبر 2001.
- * أقام معرضا بمناسبة "القمة العالمية لختمع المعرفة" بتونس بغضاء دار لوتقو ودار الثقافة ابن منظور بقفصة نوفمبر 2005.

المعارض الجماعية:

- * شارك في عديد معارض اتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين بقاعة يحي بتونس العاصمة سنوات 1989-1991-1994-2005-2006.
- * شارك في صالون قفصة للفنون التشكيلية بغضاء دار الثقافة ابن منظور ودار لوتقو في دوراته سنة 1996-1997-1998-2000-2005-2006.
- * شارك بمناسبة كأس أفريقيا للأمم لكرة القدم بقاعة الأخبار بتونس العاصمة سنة 1994.
- * شارك في صالون صفاقس السادس للفنون التشكيلية بقاعة العروض بالقفصة صفاقس 1994.
- * شارك في معرض التصوير الفوتوغرافي بمناسبة شهر التراث أفريل 2001 بغضاء صوفونيزب قرطاج.

- * شارك في الأيام المتوسطية للفنون التشكيلية الدورة (4) بسوسة 2003.
- * شارك في المعرض الجماعي للفنون التشكيلية برواق البلدية صفاقس أفريل 2005.
- شارك في المعرض الجماعي لفناني الجنوب بدار الفنون "حوش حريف" بقابس أفريل 2005.

مشاركات أخرى:

- * شارك في المعرض الإقليمي الأول للصناعات التقليدية بتوزر سنة 1985.
- * شارك في الصالون السابع للدعوان القومي للصناعات التقليدية بفضاء المعارض بالكرم سنة 1989.

الشهادت والجوائز

- * تحصل على شهادة تقدير في مناظرة الحلق والابتكار في ميدان الصناعات التقليدية سنة 1989.
- * تحصل على شهادة تقدير ثقافية بمناسبة اليوم الوطني للثقافة 27 أكتوبر 1989 بولاية قفصة.
- * تحصل على الجائزة الثالثة في المسابقة الوطنية للتصوير الشمسي حول التراث "ذاكرة وطنية" سنة 1993.
- * تحصل على الجائزة الثانية في المسابقة الوطنية للتصوير الشمسي حول الطفل والكتاب سنة 1995.

لقاء مع الروائي التونسي: ابراهيم درغوئي

تم تكريم الروائي التونسي ابراهيم درغوئي الثقافة أبو القاسم الشابي بتوزر يوم السبت 2007/2/10 وهذه المناسبة التقى به مراسل مجلة الإنخاف وأجرى معه الحوار التالي:

س1: بطاقة تعريف الروائي التونسي ابراهيم درغوئي؟

ج1: الروائي التونسي ابراهيم درغوئي ولد بالمحاسن معتمدية دقاش الجريدة ولاية توزر في 1955/12/21م زاول تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه والثانوي بتوزر ثم بدار المعلمين بتونس العاصمة ومنها تخرج شهادة ختم الدروس الترشيحية سنة 1975م عمل بعد التخرج معلما بالمدارس الابتدائية وهو الآن مدير المدرسة الابتدائية حي محطة أم العرائس ولاية قفصة الجنوب الغربي للبلاد التونسية كتب القصة

القصة والرواية وترجمت رواياته إلى عديد اللغات الاجنبية الفرنسية والإنجليزية وعضو باتحاد الكتاب التونسيين منذ سنة 1990م رئيس فرع الاتحاد بقفصة ونائب رئيس اتحاد الكتاب التونسيين ورئيس اللجنة الثقافية المحلية حام العرائس ومدير مهرجان المنجم الصيفي نام العرائس ومنسق ندوة القصة القصيرة بدار الثقافة ابن منظور بقفصة، نال العديد من الجوائز الوطنية التونسية والعربية متحصل على وسام الاستحقاق الثقافي.

س2: ماهي أهم الكتب التي صدرت لك إلى حد الآن؟

ج2: أهم الكتب التي صدرت لي إلى حد الآن هي: - النخل يموت واقفا (قصص) دار صامد صفاقس 1990م

- الدراوكنش يعودون إلى المنفى (رواية) جائزة الرواية العربية مجلة الناقد طبعة أولى - دار رياض الريس لندن 1992م طبعة ثانية - دار سحر تونس 1998م

- القيامة الآن (رواية) طبعة إولى دار الحواز سورية 1994م وطبعة ثانية دار سحر تونس 1999م - رجل محترم جدا (قصص) دار سحر تونس 1995م

- شبابيك منتصف الليل (رواية) دار سحر تونس 1996م - كامسك... يا مطر (قصص) دار سحر تونس 1997م - أكسرارا صاحب الستر (رواية) دار صامد صفاقس 1998م - وراء السراب قليلا (رواية) (جائزة كومار للرواية التونسي) صدرت عن دار الإتحاف سليانة 2002م

- مجرد لعبة خط (رواية) نالت الجائزة الأولى في مسابقة المدينة بالحمامات للرواية سنة 2003م) وصدرت عن منشورات المدينة للنشر تونس 2006م

س3: ماهي مشاريعك الروائية في المستقبل؟

ج3: أنا الآن بصدد كتابة رواية جديدة عن "أبناء الرشيد".

لقاء مع القاصة :بسمة البوعبيدي

مناسبة تكريم الروائي التونسي ابراهيم درغوثي حضرت الكاتبة القاصة الروائية بسمة البوعبيدي التقى مراسل مجلة الإتحاف بها وأجرى معها الحوار التالي؟

س1: من هي الكاتبة بسمة البوعبيدي؟

ج1: الكاتبة بسمة البوعبيدي مولودة بمعمودية دقاش الجريد ولاية توزر الجنوب الغربي للبلاد التونسية. زاولت تعليمها الابتدائي بمسقط رأسها والثانوي بتوزر بعدها تزوجت وانتقلت للإقامة مع زوجها (رجل تعليم) بتونس العاصمة والآن رجعت إلى مسقط رأسها دقاش عندما خرج زوجها للتقاعد وهي عضو باتحاد الكتاب التونسيين وفرع الإتحاد بتوزر الجريد

س2: الكتب التي صدرت لك إلى حد الآن؟

ج2: صدرت لي من الكتب إلى حد الآن: 3 كتب 1 مجموعة قصصية أولى بعنوان "تغريد خارج السرب" تونس 2001م 2 مجموعة قصصية ثانية بعنوان "احترف الصمت" تونس سنة 2004م 3 رواية بعنوان

"موسم التأنيث" صدرت عن الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم تونس سنة 2006م وقد أهديتها إلى الطفلة مريم بصفتها من صيري ووجعي فسكنت إلى حين أوجعها الضياع" 120 صفحة- في جزئين- جزء أول وجزء ثاني

س3: أين نشرت كتاباتك وما هي الجوائز التي تحصلت عليها؟

ج3: لقد نشرت ولا زالت أنشر بالمجلات والدوريات الوطنية التونسية والعربية منها مجلة قصص التونسية ومجلة الحياة الثقافية التونسية ومجلة كتابات معاصرة بيروت لبنان، وأما الجوائز تحصلت على جائزة التشجيع الدولية لنساء حوض البحر الأبيض المتوسط.

إن ما أصبحنا نراه اليوم من ابتذال في المجال النقدي دخل بهذا اللون الأدبي في لعبة السمسرة الثقافية التي زادت من إفراز الغث على حساب السمين لأن العلاقة الزهية التي كانت في السابق موجودة بين الكاتب والناقد كانت من وراء الستار أي بين الناقد والأثر بينما الآن أصبحت نتيجة علاقة شخصية وصداقة منفعية ومصالح ظرفية وهذا أمر خطير يضر بالأدب والأدباء.

وقلة هم النقاد الزهراء الذين عرفتهم وتابعت مسيرتهم الشريفة في مجال النقد الأصيل ولعل أحدهم هو الأستاذ أبو زيان السعدي الذي قرأ معظم ما يصدر ولا ينقد إلا من يستحق النقد حيا كان أو ميتا.. هكذا بلا طمع ولا رياء ولا مجاملة ولعمري هذا هو النقد الذي نريد وندعو إلى تعميمه.

سليانة تتفاعل مع ملتقى "زاما" الأول للإبداع والإشعاع التونسي بالخارج

بقلم: محمد بن رجب

لأن ملتقى "زاما" الذي تفاعلت معه مدينة سليانة قد اختارت له المندوبية الجهوية للثقافة والمحافظة على التراث أن يكون لكلّ الإبداعات التونسية فإن منسقه العام الشاعر عمار النميري جمع فيه النقد الأدبي والفنون التشكيلية والموسيقى الخارجة عن السائد والمألوف فضلا عن المسابقة الأدبية.



هذا الملتقى انتظم يومي الجمعة والسبت في المركب الثقافي أحمد بن أبي الضياف وحضره عدد كبير من المبدعين والباحثين من العاصمة وسوسة والقيروان أمثال صلاح الدين بوجاه والمسلف الوهابي ومحمد

القاضي والبشير المشرقي ومحمد المي ومحمد الصغير أولاد أحمد والأزهر النفطي ورحيم الجميعي ومحمد الهادي الوسلاقي والطيب شلبي وابتسام الحميري والهادي التليلي وأحمد المختار الهادي تفاعلوا جميعا مع المثقفين في مدينة سليانة حيث كانت قاعة المحاضرات والعروض تزخر بهم وهم من أهل الإبداع والقانون والطب بالإضافة إلى أساتذة الجامعة والمعاهد الثانوية نذكر منهم الهادي عبد الملك.



لم يكن من الصعب على زائر سليانة الناهضة أن يلحظ هذا التفاعل مع الملتقى الجديد الذي احتضنته هذه المدينة التي أسست منذ سنوات عديدة ملتقى في التاريخ والحضارة يحمل اسم أحمد بن أبي الضياف هذا المصلح الكبير والمؤرخ المفكر الذي اقترب من بآيات القرن التاسع عشر وعرف دواليب السلطة والسلطان وهو من أبناء سليانة. كما أنّ هذه المدينة أسست مجلة جهوية باسم "الإتحاف" تيمنا بالكتاب الكبير لأحمد بن أبي الضياف ، تحولت بسرعة إلى مجلة ذات

بعد وطني وهي مهمة لدى الكثير من القراء وإن كانت تفتقر للإمكانات المادية التي تسمح لها بالإنعاق والوصول إلى كل الأيدي الممدودة للثقافة.

وإذا كان الملتقى قد اختار التنوع في الإبداع والانفتاح على التجارب الفنية الطريفة فإنه وجه ندوته إلى مسألة متميزة وتغني جميع المثقفين وهي مسألة إشعاع الإبداع التونسي في الخارج.



وقد كانت جلسات الندوة الثقافية ساخنة بالآراء التي لم تكن أبداً تقريرية تعبر عن الرضاء بالموجود وتمسكت عن التناقض والأخطاء لقد تحدث الباحثون أمثال صلاح الدين بوجاه ومحمد القاضي ومحمد المي عن خصوصيات الإبداع الأدبي مؤكدين على قدرة التونسي على الإشعاع الكبير لو توفرت الشروط الكفيلة بذلك.

دما أن الجلسات الخاصة بالكتابات الشبابية وإمكانية خروجها من محيطها التونسي كانت مهمة وأثارت الكثير من المناقشات.

وقد التحمت هذه الجلسات الأدبية الشبابية بالمسابقة الأدبية التي

شارك فيها حوالي 60 شابا وشابة في القصة والشعر من عدة ولايات داخل تونس أشرف عليها الأستاذ توفيق قريرة الذي نشط حصص أدبية أثناء توزيع الجوائز وشهادات التقدير كانت طريفة وفريدة من نوعها إذ كان يطلب من الفائز بجائزة أدبية أن ينشد قصيدته أو قصته... ثم يلقي عليه بعض الأسئلة في اللغة وخصوصيات الإبداع.

والجدير بالذكر أن القاعة التي تجرى فيها الجلسات الأدبية والفكرية هي في الأصل رواقا للفنون.. وهذا الرواق احتضن في نطاق هذا الملتقى معرضا للرسم سعاد الشهيبي احتوى على 15 لوحة من أحجام كبيرة كلها في موضوع يكاد يكون واحدا... ولكنه يختلف في الرؤية واللون من لوحة إلى أخرى لقد اختارت أن ترسم إحساسها بالحريق المنذلع في بور كثرة من العالم جعلها لها علاقة بنا.. حريق في العراق.. وحريق في فلسطين وحرائق أخرى.. تنطلق لتشتعل من جديد في الصومال والسودان وأفغانستان.. وهو يهدد إيران.

رسمت الحرائق بألوان مختلفة فأما هو حريق في غابة.. أو حريق في باخرة بحرية أو حريق تسبب فيه بركان والعجائب المستعملة هي التي تحدد الأشكال والخطوط وتوشح بعض الرؤى... وتعتم على أفكار أخرى.

واضح جدا أن الرسامة سعاد شهيبي قد تفاعلت مع ما يجري في العالم العربي والإسلامي وهي تتمزق من أعماقها وتتألم في صمت.. لكن الريشة تفضحها والعجينة اللونية تعري ما حاولت أن تستره محلا من

نفسها ومن الآخرين الذين كانوا وراء الموت والدماء.

وتجاوبا مع هذا المعرض كان المشاركة المسبقة لفريق "أجراس" التي يقودها الفنان عادل بوعلاق الذي يعمل منذ 20 سنة في عالم الموسيقى دون أن يغير رؤيته أو موقفه.. فلقد اختار منذ البداية توظيف الموسيقى لنشر الثقافة الجادة .. وللترويج للكلمة الفاعلة.. إنه في كلمة ضد السائد ويعرف كيف يقول لا: "لا للظلم.. ولا للطغاة في كل أنحاء العالم ونعم للحرية والعدل والسلام. إنه لا يقول ذلك في مقالة.. إنما يصورها في موسيقاه التي يتفاعل معها الجمهور الشاب الذي يبحث دوما عن هذا النوع من الموسيقى حتى يتجاوز قليلا أو كثيرا السائد المائع.. والسائد الذي لا يفيد أحد.

وفي كلمة أن انطلاق هذا الملتقى الأول للإبداع في سليانة كانت طيبة والمهم هو الإستمرار والعمل من الآن على إعداد وإعداد المحكم ودعوة كل الذين يقدمون شيئا جديدا للموضوع المطروح.

